من المخطئ في فهم العلمانية ؟

عيد الدويهيس

من المخطئ

في فهم العلمانية ؟

عيد الدويهيس

حقوق الطبع

حقوق طبع هذا الكتاب مهداة من المؤلف إلى كل مسلم
وجزى الله خيراً من طبعه أو أعان على طبعه وغفر الله
له ولوالديه ولجميع المسلمين

الطبعة الأولى

ربيـــع الأول ١٤٣٣ هجرية

ابـريـــــل ٢٠١٢ ميلادية

بسم الله الرحمن الرحيم

الفهـــرس

الموضـــوع	الصفحة
المقدمة	٥
• من المخطئ في فهم العلمانية ؟	٧
• الكلام بسطحية	١٥
• ما أسوأ تسامح العلمانية !	٢٣
• الحرية القبيحة	٢٩
• قول على قول	٣٥
• كيف نحارب التخلف ؟	٤١
• بدعة الدولة العلمانية	٥٣
• القاعدة الفكرية للحرامية	٦٥
• المسلمون والسياسة	٦٩
• الديمقراطية الإسلامية	٧٣
• المسيحية والعلمانية	٧٧
• المكر العلماني	٨١
• مأساة اختلاف العلمانيين	٨٧
• حوار في الوقت الضائع	٩١
• تبدو كل المبادئ جميلة	٩٥
• أنت مثقف كبير	٩٩
• الشاب الفيلسوف	١٠١
• علم لا ينفع	١٠٧
• الشك والعلمانيون والكفار	١١١
• من يمتلك الحقيقة الفكرية ؟	١١٧
كتب للمؤلف	١٢٨

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله . أما بعد :

يأتي هذا الكتاب ليسلط مزيد من الأضواء على العلمانية التي خدعت وللأسف كثير من بني آدم وقلت ولا زلت أقول أكبر عملية تزوير فكري في تاريخ البشر هي التي قامت بها العلمانية فهي منبع الجهل والفساد والضياع والفوضى والإلحاد والزندقة وساعدها إعلام فاسد قوى يجعل الإلحاد إيمانا، والظلم عدلا، والكذب صدقا، والدين رجعية، والجهاد إرهابا فلننقذ البشرية من العلمانية وأدعو وبشده إلى حوارات كثيرة وفي كل مكان من العالم حتى يعلم الناس حقيقة العلمانية وأكبر سلبياتها هي إبعاد المقتنعين بها والمتأثرين بها عن الله سبحانه وتعالى في حياتهم العامة والشخصية، فالعلمانية لا تؤمن بوجود دين صحيح لا المسيحية ولا الإسلام ولا اليهودية، والدين الصحيح هو الرابط بين الإنسان وخالقه ولنركز الحوارات على العلمانية لا على الدول والأفراد والحاضر والماضي حتى لا تختلط الأوراق وتضيع الحقائق وحاولت أن أثبت في الكتاب التشابه بين العلمانية وبين الزندقة والإلحاد وأن من أمراض العلمانيين أنهم يتحدثون في الفكر والإصلاح والسياسة والتاريخ وهم ليسوا متخصصين بها فيشوهون الحقائق فكم من اتهامات وجهوها للإسلام والإسلاميين أو الواقع أو التاريخ وعندما نتعمق بها نجد أنها اتهامات باطلة؟! أو أنهم يبالغون في حجمها وأن من يقتنع بأفكارهم سيرى العالم من خلال نظارة سوداء وروح يائسة! فمبادئنا الإسلامية متخلفة، وتاريخنا أسود، وواقعنا مر، ونوايانا فاسدة، ونحن عالة على العالم ولا مكان للعقل عندنا ولم نحقق أي إيجابيات لا تعليمية ولا عمرانية ولا صناعية .....الخ وفي المقابل الغرب العلماني عندهم هو

المتطور والراقي والعادل والإنساني .... ومهما كان عنده من سلبيات فهم لا يرونها وأتمنى أن يتخصص كثير من المسلمين في نقد العلمانية ويركزون على براءة العلم الفكري منها وبراءة إنتسابها للعقول السليمة وبراءة علماء الأديان السماوية منها .

وفي الختام أشكر كل من ساعدني في إنجاز هذا الكتاب واسأل الله سبحانه وتعالى أن يجزيهم خير الجزاء، وأن يجعل علمي خالصاً لوجهه الكريم، واسأل كل من انتفع بشيء منه أن يدعو لي ولوالدي وللمسلمين أجمعين.

عيد بطاح الدويهيس

الكويت في

٢٤ ذي القعدة ١٤٣٣ هجرية

٢٢ أكتوبـــــر ٢٠١١ ميلادية

من المخطئ في فهم العلمانية ؟

كتب الأخ العزيز أحمد الصراف بجريدة القبس بتاريخ ٢٣ أكتوبر ٢٠١٠ مقالاً بعنوان «نحن والعلمانية والبابا» وقال إن مقال السيد أمير طاهري من أدق ما كتب في العلمانية» وقال إن السيد أمير ذكر خمسة أخطاء رداً على نقد البابا بنديكيت السادس عشر للعلمانية هي :

١- قال الأستاذ أمير طاهري:

الخطأ الأول أنه سمح لأن يضلل في هجاء كلمة «علمانية» باللغة الإنجليزية فمقطعها الأخير يشير إلى نحو خاطئ إلى أنها أيدلوجية كالاشتراكية والشيوعية وغيرها علماً بأنها ليست كذلك ولا تعرض وجهة نظر كلية للوجود البشري ولا تتبنى موقفاً من قضايا سياسية واقتصادية وأخلاقية معينة» وأقول العلمانية: هي اللادينية، وهي القاعدة الأيدلوجية والفكرية التي نبعت منها الشيوعية والاشتراكية والرأسمالية والنازية والوجودية وغير ذلك، فهذه أيديولوجيات علمانية ومبادئها «ولدت» من بطن العلمانية، أي بعد أن تبنت أوربا العلمانية، أي فصلت الدين عن الدولة، فمفكري هذه المبادئ علمانيون فعلوا ما أمرتهم العلمانية، بإبعاد الدين وتبني ما يرون فيه مصالحهم وما أرشدتهم إليه عقولهم الضائعة، ولا يحق للأم أن تتبرأ من أبنائها، ومن صفات العلمانية أنها تتبرأ من أي مبادئ ومواقف سياسية واقتصادية، بل تتبرأ من الدول والأفراد حتى تبقى نظيفة أما حقيقة الأمر فهي المنبع لكل انحراف فكري وكل ما يعارض الدين الصحيح هو انحراف فكري، فالفكر الشيوعي هو فكر لا ديني، والفكر الاستعماري الرأسمالي هو فكر لا ديني والزنا لا يجد شرعية في الأديان السماوية وهو فكر يجد له حماية وشرعية في الفكر العلماني وفي الدول العلمانية من خلال مبدأ الحرية الشخصية حسب المفهوم العلماني المنحرف للحرية وقل مثل هذا

عن الزندقة والإلحاد والزواج المثلي.... الخ أليست حرب الدولة العلمانية الفرنسية للحجاب في المدارس والدولة العلمانية التركية للحجاب في الجامعات يحدث بحجة أن الدولة علمانية؟! وما أشبه العلمانية برئيس عصابة مافيا يأمر رجاله بارتكاب الجرائم وفي نفس الوقت لا يوجد دليل مادي على أنه المجرم .

٢- قال الأستاذ أمير طاهري :

«الخطأ الثاني هو في اعتبار العلمانية إلحاداً علماً بأنه لا علاقة لها بالإلحاد، فالإلحاد أيدلوجية قائمة على رفض أي تفسير ديني للوجود بيد أن العلمانية تتبنى موقفاً محايداً إزاء جميع التفسيرات الدينية القديمة والحالية والمستقبلية وقد يكون لدى الملحدين مقارهم ومؤسساتهم وأنبياءهم، ولكن العلمانية ليس لها أي تنظيم ولا أنبياء ولا تروج لأي عقيدة»، وأقول إن الإلحاد واضح في العلمانية فهي ترفض التشريع الديني في الحكم والسياسة والاقتصاد فإذا كان الملحدين والزنادقة يرفضون وجود الله أو التصور العقائدي الديني، فالعلمانيون يرفضون التصور السياسي والاقتصادي الديني والإلحاد هو رفض أي جزء من الدين حتى لو كان مؤمناً بوجود الله سبحانه وتعالى، فالاعتقاد أن «الدين الصحيح» يفسد الدولة والسياسة معناه أنه مبادئ خاطئة أو متخلفة أي أن الله سبحانه وتعالى يأمرنا بالباطل والخطأ ولا يوجد «حياد» في قضايا الإيمان، فإما تؤمن بالدين الصحيح أو لا تؤمن فلا يوجد حياد بين الإيمان والكفر وبالتأكيد لن نجد الملحدين في معسكر الإيمان، بل سنجدهم في معسكر العلمانية ويستخدمون حجج العلمانيين من «العقل» و«العلم المادي» وإن لم يكن الملحدين علمانيين فهل هم مسلمون أو مسيحيون أو يهود؟ كما أن الملحدين والزنادقة لا يتبرؤون من العلمانية بل ينتسبون إليها. ولنطرح الموضوع من زاوية واضحة هل أمرنا الله سبحانه وتعالى باتخاذ موقف محايد من الأديان أم أمرنا بالإيمان والالتزام بالدين الصحيح؟ ما أمرنا الله سبحانه وتعالى يختلف عما تدعونا

إليه العلمانية، أي هي متمردة وعاصية وكافرة وأمرنا الله بأن تكون الدولة إسلامية في حين تطالبنا العلمانية بفصل الإسلام عن الدولة، ولو قبل الرسول ﷺ ذلك لما حاربه كفار قريش وتفسر العلمانية الدين بأنه فقط علاقة بين الفرد وربه ولا يهمها التفسير الصحيح للدين من المتخصصين بالإسلام والمسيحية واليهودية، فالعداء بين العلمانية والأديان السماوية لم يأت من فراغ وهو عداء يعرفه علماء الإسلام والمسيحية واليهودية ولو قرأنا كثير من كتب ومقالات العلمانيين لوجدناها تنتقد وتهاجم وتشوه الأديان السماوية وأهلها مئة مرة أكثر مما تفعله مع الفساد السياسي والاقتصادي ورموزهم وهو ليس صراع فكري فقط بل سياسي وعسكري وقانوني وتعليمي وثقافي... الخ .

٣- قال الأستاذ أمير طاهري:

«والخطأ الثالث هو أن العلمانية تنكر الحاجة إلى قواعد أخلاقية ونجد هنا أنه لا أسس تدعم هذا الادعاء فهناك مئات المؤيدين الكبار للعلمانية في التاريخ والذين لم يعرف عنهم غير الاستقامة الأخلاقية لدرجة المثالية» وأقول العلمانية تدعو لإقامة الدولة على أساس لا ديني ولم تدعو لأخلاق فاضلة ولا سيئة ولم تدعو للإيمان بوجود الله ولا الكفر به، ولهذا سيكون من العلمانيين من يلتزم بالأخلاق الفاضلة، لأن عقله أقنعه أنها صواب أو لأن تربيته دينية وسيوجد من العلمانيين من أقنعه عقله بصواب بعض الأخلاق السيئة لأن الأخلاق الفاضلة ليست جزء لا يتجزأ من العلمانية فلم تنهى العلمانية عن الزنا أو شرب الخمر أو الكذب أو الأنانية أو النفاق... الخ فيعتبر بعض العلمانيين أن هذه «حرية» شخصية أو مصلحة مشروعة أو ذكاء، فالعلمانية تسمح من الناحية النظرية بالاقتناع بأي أخلاق سيئة في حين أن المسلم المنحرف أخلاقياً يعلم أنه مخطئ ومذنب، لأنه يتصادم مع مبادئ الإسلام، وإذا كان مئات من المؤيدين الكبار للعلمانية لم يعرف عنهم غير الاستقامة ألا يوجد الآلاف من المؤيدين

الكبار للعلمانية قديماً وحديثاً يعرف عنهم الفسق والنفاق والكذب والعدوان والإلحاد والزندقة والتعصب العرقي... الخ وهم يعتبرون مفكرين أو سياسيين علمانيين .

٤- قال الأستاذ أمير طاهري:

«والخطأ الرابع يكمن في أن العلمانية تريد أن تبعد الدين عن السياسة وإجبار الناس على اتخاذ خيارات سياسية ضد معتقداتهم الدينية يعد إحدى صور الاستبداد والعلمانية أبعد ما تكون عن ذلك لكننا نعتقد من جهة أخرى أن العلمانية تسعى لفصل الدين عن الدولة أو الحكم لكي تحمي الجهتين بحيث لا تطغى جهة على أخرى» وأقول الظن بأن الدولة في جهة والدين في جهة ظن خاطئ، فالدولة قد تكون إسلامية أو علمانية، فالصراع هو بين الدين والعلمانية لا الدين والدولة وكيف لا تتصادم العلمانية مع الخيارات السياسية للمسلمين ولا يوجد إلا خيار واحد وهو أن تطبق الدولة الشريعة الإسلامية وهذا أمر ترفضه العلمانية أما إذا سيطرت العلمانية على الدولة فلا مانع لديها أن يكون هناك تأثير ضعيف للدين ولو سيطر الإسلام فلن يمانع من وجود مكان وتأثير في السياسة والحياة عموماً للأديان وأهلها وللعلمانيين وغيرهم، فالتصادم والصراع لا يعني بالضرورة أن يدمر كل طرف الطرف الآخر كلياً والدولة العلمانية لا توحد الله ولا تطيعه ولا تدعو له ولا تقتدي بالأنبياء ولا تتبع أي كتاب سماوي ولا تجاهد الكفار ولا تنصر المؤمنين بل تتبرأ من كل ذلك ولا يهمها وتنفي انتسابها له أو انتسابه لها بل حتى لا تريد أن تعرف الدين الصحيح وتلتزم به وإن لم يكن ذلك كفر فلا يوجد كفر في الأرض فهي تفصل العقائد الإسلامية والقوانين الإسلامية والاقتصاد الإسلامي والتعليم الإسلامي عن الدولة بل عن الحياة قال تعالى: ﴿وَاللّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ آية: ٢١ سورة يوسف .

٥- قال الأستاذ أمير طاهري:

«والخطأ الخامس وقد يكون الأكثر خطورة الإدعاء بأن العلمانية والدين متعارضان وبمعنى آخر إذا كنت علمانياً فإنك لا تستطيع أن تحمل معتقدات دينية ولكننا نلتقي في حياتنا اليومية بالكثيرين من المؤمنين بالعلمانية من أصحاب المعتقدات الدينية الراسخة» وأقول لا يمكن من منظور إسلامي أن يكون الإنسان مسلماً وعلمانياً، فالمسلم لا يفصل الإسلام عن الدولة والسياسة، فالإيمان مبادئ لا تقبل التجزأ والإيمان بوجود الله سبحانه وتعالى وبصدق محمدﷺ غير مقبول إذا آمن صاحبه بفصل الدين عن الدولة قال تعالى ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاء الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (١٨) إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيئًا وإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ (١٩)﴾ سورة الجاثية وقال تعالى ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاء مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ سورة البقرة آية٨٥ وقال تعالى ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ سورة البقرة آية ٦٥

٦- قال الأستاذ أمير طاهري:

«العلمانية وسيلة لتنظيم الفضاء العام وبما أن الفضاء العام يخص الجميع فلا يمكن تنظيمه على أساس المعتقدات الدينية للبعض أو حتى الأغلبية ففى العلمانية هناك مساحة لكل من الدين والعقل» وقال «والتعريف الأفضل هو الملكية المشتركة للفضاء العام ويعني اتخاذ قرارات سياسية وفقاً للضرورات السياسية لا الدينية» وأقول :

أ- جاء الإسلام لتنظيم الفضاء العام وهو ينظمه على أساس علمي أي حقائق أمر بها الله سبحانه وتعالى فكل العقائد الدينية والعلمانية تحاول تنظيم الفضاء العام

ولكن السؤال من ينظمه بالصورة الصحيحة والعلمانية لا تستند في شرعيتها للكتب السماوية ولا لعلماء المادة .

ب- في أغلب المبادئ الدينية والعلمانية هناك مساحات لمن يؤمنون بالتنظيم المسيطر ومساحات لمن يختلفون عقائدياً أو سياسياً أو عرقياً ففي كل بلد هناك تنوعات وتناقضات واختلافات دينية وسياسية والتنظيم العلماني ليس هو التنظيم العلمي ولا المحايد ولا حتى المنتخب شعبياً .

ج- الغريب في العبارة السابقة أن تنظيم الفضاء العام مرفوض إذا كان بناءً على معتقدات الأغلبية الدينية حتى لو كانت الأغلبية تصل إلى ٩٠٪ والطريف أن هذا لم يعتبر استبداد ورفض لحرية الشعوب وتقرير مصيرها ويتناقض كلياً مع ما قاله الأستاذ أمير أن العلمانية ضد الاستبداد ولنستفتي شعوبنا هل تريد الإسلام أو العلمانية؟ وأقول هذا الاقتراح يرفضه العلمانيون، فالديمقراطية مقبولة عندهم إذا كانت خادمة لنظامهم العلماني لا المسيطرة عليه وهذا الاستبداد ليس في جزئية فكرية أو سياسية بل رفض عقائد وأحكام ومبادئ وأخلاق الأغلبية الساحقة من الشعب وهذا أشد ألف مرة من الاستبداد السياسي الذي هدفه في الغالب المناصب والمال فقط .

د- تنظيم الفضاء الإسلامي هو أفضل للبشر سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين إذا رأينا الحقائق الفكرية والواقعية والتاريخية فالمسيحيون واليهود عندنا أهل كتاب ونؤمن بأنه لا إكراه في الدين والعدل من أهم مبادئنا ومساحات المساواة كبيرة جداً ويعيش بيننا المسيحيون واليهود وغيرهم منذ خمسة عشر قرنا وإذا قارنا ذلك بما فعلته أوروبا العلمانية على مدى قرون من اضطهاد وطرد للمسلمين واستعمار كثير من الشعوب سندرك أن هناك كثير من التشويه والغزو الإعلامي للتاريخ والفكر بل حتى الواقع المعاصر .

هـ- التنظيم الإسلامي لا يمنع المشاركة السياسية لكل المواطنين سواء كانوا مسيحيين أو يهود أو بوذيين أو غيرهم وهذا واقع نشاهده في كثير من الدول الإسلامية وأبواب التجارة والصناعة والتوظيف والإعلام والأبحاث العلمية وغير ذلك مفتوحة للجميع؛ فالنظر للأمور من ناحية واقعية وبعيداً عن المزايدات يثبت أنه لا يوجد في الفكر الإسلامي وفي نوايا المسلمين أي أهداف عدوانية .

و- حكاية أن في العلمانية مساحة لكل من الدين والعقل قضية مرفوضة جملةً وتفصيلاً؛ فالعلمانية لا تقبل إلا الدين الناقص الضعيف أما العقل فهو موجود عند كل بني آدم وفيه اتهام مبطن أن أهل الإسلام جامدين عقلياً وسطحيين في حين أننا بالعقل آمنا بالله سبحانه وتعالى وبالعقل صدقنا الرسل وبالعقل فهمنا القرآن والسنة وبالعقل فهمنا الواقع وبالعقل نجتهد في التفاعل مع الحياة وأخذنا شهادات جامعية من جامعات محلية وأجنبية علمانية ومنا الأطباء والمهندسون والسياسيون ونحن من نصحح للفلاسفة والعلمانيين وأهل الأديان السماوية وغيرهم عقائدهم وشرائعهم، فنحن أصحاب العقل وأساتذة العلم الفكري. وأرجو من الأخ العزيز أحمد الصراف أن يبتعد عن القضايا العقائدية فليست هي مجال تخصصه حتى لو كان لديه ثقافة بها فهي بحارٌ غرق فيها الكثيرون قال تعالى: ﴿فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾(٤٣) سورة النحل .

من المخطئ في فهم العلمانية ؟

عيد بطاح الدويهيس

الكلام بسطحية

كتب الأخ العزيز أحمد الصراف في جريدة القبس بتاريخ ٢٩ سبتمبر ٢٠١٠ مقال بعنوان «الهيلق والفكر الخرب» ذكر فيه أن هناك اختلاف حدث حول تاريخ المجاعة التي حدثت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر في الجزيرة العربية وبلاد فارس فما بالك بأمور حدثت قبل خمسة عشر قرنا، يقصد الاختلافات التي حدثت بين المسلمين من سنة وشيعة لأن هناك احتمال كبير أن يوجد كذب في الأحداث ورواياتها فقال «وكيف يمكن أن نصدق أن هؤلاء الذين اختلفوا اليوم على ما سبق أن اختلف عليه الملايين ممن سبقوهم بقرون وقرون على أحداث شديدة التضارب والاختلاف هم فعلاً حسنوا النية خالون من كل هدف خبيث، وعجبي لمن يصر على السير وراءهم ويصدق أقوالهم » وأقول بعض ما قاله الأخ أحمد صحيح ولكن استنتاجه فيه كثير من الخطأ.. ونحن مطالبين كمسلمين أن نسير خلف رسول الله ﷺ ولا نعطي وزناً كبيراً لما حدث بعد وفاة الرسول ﷺ ولا نسير وراء هذه الأحداث ونكون عقائدنا ومبادئنا منها أو من ما قاله أهل البيت أو الصحابة فما بالك بغيرهم وأدلتي على خطأ استنتاج الأخ أحمد يستند على ما يلي :

١- كانت الكويت في سنة ١٨٦٠ قرية كبيرة لا أظن أن عدد سكانها يزيد عن عشرين ألف نسمة بما فيهم الأطفال والنساء وكانت نسبة الأمية ٩٩٪ ونسبة الفقر ٩٠٪ على الأقل والاختلاف بضع سنوات في تحديد زمن المجاعة وموقعها ليس بالأمر المهم عند تقريباً كل السكان المشغولين بكسب رزقهم وهمومهم الشخصية، ومن الخطأ مقارنة هذا الوضع بتاريخ أمة الإسلام في عهد الرسول ﷺ والخلافة الراشدة وما بعدها حيث أصبحت أعداد المسلمين كبيرة جداً ودولتهم وصلت في مئة سنة إلى الصين والمغرب وتركيا وهي أمة فيها علماء مكة والمدينة والكوفة والبصرة

ودمشق، ولو أخطأ الإمام في قراءة القرآن في صلاته لقاموا بتصحيح خطأه مع أن القرآن به مئات الصفحات، ولكن المشكلة كالعادة أن الأخ أحمد يتكلم في مواضيع ليست من اختصاصه كالتاريخ والعقائد والمبادئ وغير ذلك، وبالنسبة للتاريخ فنمر عليه مرور الكرام للاستفادة وما يهمنا في الإسلام هو بناء الحاضر والمستقبل والآخرة لا قراءة الماضي أو محاكمة أفراده. قال تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلاَ تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ آية: ١٣٤ سورة البقرة .

٢- التشكيك فيما حدث في الكويت أمر مقبول، ولكن أن يتم استنتاج أن كل التاريخ مشوه فهو أمر ليس بصحيح أي مادام ما حدث قبل مئة وخمسون سنة مشكوك فيه فما بالك بما حدث قبل ألف سنة، ومثل هذا المنطق الخاطئ يشابه مادام هناك تعصب باسم الدين فلنرفض الدين أو الدولة الإسلامية فهذا خلط للأوراق والتعمق يثبت أن أفضل البشر هم الأنبياء وبشهادة كل البشر في كل الأديان السماوية وأفضلهم بالاتفاق هم المؤمنون أي الأكثر التزاماً، فالإسلام هو منبع الخير فهل نرفضه لوجود متعصبين يسببون الفتنة أو خوارج أو من يتاجر به لأننا لو بحثنا عن السعادة الدنيوية في مكان غير الإسلام فلن نجدها أبداً فالصواب أن نتعمق في الأمور ولا نأخذ جزئيات ثم نستنتج منها أشياء شمولية هذا يرفضه العلم والعقول المنصفة .

٣- المنهج الإسلامي قائم على قال الله قال رسوله، فهذا هو الصراط المستقيم أما من يجعل جزء لا يتجزأ من دينه قال صحابي، أو من أهل البيت، أو قال العالم الإسلامي أو الشيخ الصوفي، أو يبالغ كثيراً في أهمية أحداث وقعت بعد وفاة الرسول ﷺ بل يحاول أن يقنعك أنه يعرف كل كبيرة وصغيرة وماذا قال هذا أو ذاك بل يدخل حتى في نوايا الناس أن هذه الأفلام التسجيلية مرفوضة عند أهل التاريخ وعند أهل الإسلام وعند من يعرف الاختلاف على أمور كبيرة حدثت في عصرنا

هذا بل تحدث كل يوم فمثلاً من قتل جون كيندي؟ ومن قتل رفيق الحريري؟ وما هي خطة أمريكا للشرق الأوسط؟ الإجابات نعرف بأنها متناقضة. إن محاكمة العلمانيين للتاريخ الإسلامي أشد ظلماً بكثير من محاكم التفتيش الأوربية التي تحاكم عقائد الناس لأن هذه تحاكم أحياء في حين أن محاكم العلمانيين تحاكم أفراد ماتوا وأحداث قديمة وتاريخ انتهى منذ زمن بعيد فهم يصدرون الأحكام بدون حتى أن يستمعوا للمتهمين لأنهم أموات وبدون أن يكونوا عاشوا في هذا الواقع أو فهموا حتى بعض جوانبه كل ما عندهم آراء واتهامات قائمة على الظن والشبهات ومما زاد الطين بله أن موقفهم من الأديان السماوية هو الرفض السياسي لها أي ليس فيهم حتى حياد وموضوعية القضاء لأنهم خصومهم فكرياً إن هذا يعني أن الفكر العلماني الضائع يُنشيء محاكم فاسدة لتحاكم بناء على الظن والشبهات أموات وأحداث لم يشاهدوها ولا يصدقون إلا الروايات التي تدين المتهمين مع أنهم يقولون لا تصدقون التاريخ حقاً إنها ظلمات بعضها فوق بعض والحمد لله كثيراً على نعمة الإسلام والعقل والموضوعية والعدل. هذا هو الفكر العلماني الخرب الذي يظلم الأحياء والأموات معاً ويتصادم مع بديهيات العدل والموضوعية والمأساة التي وقع الأخ أحمد فيها من حيث لا يدري أنه رفض تصديق التاريخ لأن فيه روايات متناقضة وقبل وصدق العلمانية وتمسك بها ويراها تُصلح حال الفرد والدولة مع أنها متناقضة في كل شيء فالعلمانيون مختلفون حول وجود الله سبحانه وتعالى ولماذا خلقنا؟ ومختلفون حول معاني الحرية والعدل والمساواة والإرهاب والموقف من الزنا والزواج المثلي... الخ وهذا التناقض دليل على أنه ليس في العلمانية علم ونور وهداية .

٤- هناك كثيرون كتبوا التاريخ قديماً وحديثاً فلا يقبل أن نشكك في كل التاريخ وخاصة الخطوط العريضة، فهناك كتب للتاريخ كتبها مسلمون ومسيحيون وفلاسفة وصينيون وروس وإنجليز وغيرهم ولكن ليس كل ما كتب صحيح ففيه أهواء وجهل ويختلف المؤرخون في حجم علمهم وفي موضوعيتهم وليس صحيح أن نقول أن كل ما

كتب كذب أو معلومات خاطئة. ومن قال أن أهل التاريخ لا يعرفون أن هناك اختلافات وكذب ومن قال أن الواقع اليومي الحالي للدول والأفراد ليس فيه كذب، هل بناءً على ذلك نشكك في كل ما يحدث إن لم نراه بأعيننا وشكك بعض العلمانيين حتى في معجزات الرسل وشككوا حتى في معجزة القرآن وهم يشاهدونها فهذا شك يبرأ منه العلم لأنه شك يرفض كل الأدلة العلمية .

٥- قال لي زميل ليبرالي «إن الأديان هي سبب الحروب هذا مما رأيناه في التاريخ» ولاحظ هنا أن زميلي الليبرالي يعتبر التاريخ واضح وصحيح ويثق به وأقول الله سبحانه وتعالى أرسل الأنبياء والأديان لتحقيق سعادة البشر بالدنيا والآخرة فالله سبحانه وتعالى لا يأمر إلا بالخير وكان أهل الأديان السماوية الأصلية دائماً يدافعون عن الحق وإذا حاربوا فهو دفاع عن التوحيد والحرية والعدل أما من فهم الدين بطريقة خاطئة أو استغله لمصالح فلا يحسب على المؤمنين، ومن أمثال هؤلاء الخوارج كما أن كثير من الحروب في التاريخ ليست لها علاقة بالدين فأكثر الحروب خلال الأربع قرون الماضية هي حروب أشعلتها دول علمانية استعمارية كأسبانيا والبرتغال وبريطانيا وفرنسا وهولندا والحرب العالمية الثانية بين دول علمانية رأسمالية أو شيوعية أو عنصرية، فهذا الواقع القريب يثبت أن اتهام الأديان السماوية بأنها منبع الحروب أكذوبة علمانية كبيرة والطريف أن كثيراً من العلمانيين والليبراليين لا يصدقون من التاريخ إلا الروايات التي تشوه الأديان السماوية والدول الإسلامية ولو جلست اليوم مع سياسي علماني في الدول العلمانية لقال لك إن حروبنا وصراعاتنا واجتماعاتنا السرية هدفها تحقيق مصالح اقتصادية أو سياسية ولا نؤمن بمبادئنا العلمانية المكتوبة في الدستور والقانون وحقوق الإنسان، بل لو طالبتهم بالحق الواضح لقالوا عنك ساذج أو سطحي أو خيالي فهذه الأمور غير موجودة إلا عند قليل جداً من السياسيين العلمانيين والمضحك المبكي أن العلمانيين هم من يزورون التاريخ فيحاولون أن يقنعوا البشر أن الظلام والظلم والتعصب والحروب... الخ

كانت هي السائدة في تاريخ البشر وبعد أن أشرقت «شمس» العلمانية ظهر العلم والعدل والحرية والمساواة مع أن الحقائق التاريخية والحالية تقول كانت هناك دول عادلة ورقي إنساني في كثير من الدول قبل أن تظهر العلمانية وأن الشر والضياع والاستعمار والتفكك الأسري والانحطاط الأخلاقي زاد مع ظهور العلمانية ألا نشاهد على سبيل المثال فقراء يموتون جوعاً وعلمانيون يموتون من السمنة ويسيطرون على أغلبية ثروات العالم، إن سكان الولايات المتحدة لا تزيد نسبتهم عن ٦٪ من سكان العالم ويسيطرون على أكثر من ٥٠٪ من ثروات العالم .

٦- عن طريق التاريخ وصلت لنا التوراة والإنجيل والقرآن وأحاديث الرسول ﷺ وبعض العلمانيين يشككون في وجود الأنبياء ولا يصدقون معجزاتهم وإذا صدقوا الأنبياء شككوا في أن كلامهم لم يصل لنا كاملاً وإذا وصل شككوا في تفسيره حتى لو جاء بلسانٍ عربيٍ مبين وعمليات التشكيك لا تستند لبحث علمي أبداً، فالمشككون أغلبهم لا علم لهم بالعقائد ولا بالتاريخ ولا باللغة العربية بل يتكلموا عن جهل وعناد وهوى فمثلا إذا رأوا تشابه بين الأديان السماوية قالوا بها تشابه وأن محمداً نقل منهم وإذا وجدوا اختلاف في أجزاء قالوا كيف يكون هناك اختلاف مع أنها كلها أديان سماوية، فالتطرف في الفهم والاستنتاجات يهدف إلى شيء واحد إقناع الناس بأن البديل هو العلمانية التي هي كفر وسراب وتناقض وفاشلة وليس فيها علم ولا علماء، إن العلمانيين أنفسهم غير مقتنعين بوجود «عالم» علماني أي يبين ملامح فكرهم لأن مبادئهم متناقضة .

٧- يعلم المسلمون أن الله سبحانه وتعالى قال: ﴿تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تُسئلون عما كانوا يعملون﴾ آية: ١٣٤ سورة البقرة، ولهذا لم يهتموا كثيراً بالأحداث السياسية حتى في عهد الخلافة الراشدة ولا يهمهم التدقيق العميق في الروايات والبحث عن الحقائق التفصيلية فهذا أمر يعلمه الله سبحانه وتعالى

وسيأتي بكل كبيرة وصغيرة وما يتعلق حتى بالنوايا فالتشكيك بكل التاريخ البشري وليس الإسلامي ليس قضية رئيسية، بل إن المشككين أنفسهم لا يحق لهم التشكيك، لأنهم أتوا بعد ألف سنة أو ألفين سنة فعلى أي أساس يشككوا في كل شيء بما فيه ما حدث فعلاً أي هم يحرقوا الأخضر واليابس معاً أي سيشككون فيما هو حق حتى لو كانت أمور واضحة وشهدها آلاف الناس .

٨- اهتم المسلمون أشد الاهتمام وبذل مئات العلماء أوقاتهم وجهودهم في سبيل التدقيق في أحاديث الرسول ﷺ وسيرته وفي الاهتمام بتفسير القرآن حدث هذا في عهد الرسول ﷺ والخلافة الراشدة والخلافة الأموية وما بعدها ودونوا الأحاديث ورواتها في الكتب ومن الظلم التقليل من أبحاثهم العلمية ممن لا يعرف من هم علماء الأحاديث؟ وماذا فعلوا؟ وماذا كتبوا؟ بل لم يكلفوا أنفسهم عناء البحث في كتبهم وآرائهم وهي متوفرة وعلماؤنا منهم من سافروا سنوات طويلة يبحثون ويتأكدون ويسألون، وتعرضوا لأخطار كثيرة، وفارقوا الأهل والأبناء، وأقول وأكرر لا تتكلم يا أخ أحمد فيما ليس مجال تخصصك بل حتى ثقافتك وأنت لست وحدك، بل كثير من الناس من يفعل ذلك وتجدهم كل يوم أمامك عندما يتحدثون في السياسة أو الإدارة أو الاقتصاد.... الخ .

٩- الإسلام هو الأحدث نسبياً بين الأديان السماوية، فالمسيحية صار لها ألفين سنة فإذا كان الدين الحديث لم يصلنا صحيح ولا نعرف مبادئه ولا تفسير آيات القرآن التي جاءت بلسان عربي مبين ولا نعرف أحاديث الرسول ﷺ فإن معنى هذا أن الله سبحانه وتعالى تركنا بلا هداية، لأنه لم يأتي نبي جديد وإذا كنا بلا هداية فلن نسعد في الدنيا ولا الآخرة بل لن نعرف حتى لماذا خلقنا؟ وما هي صفات الله سبحانه وتعالى؟ ولن نعرف العدل ولا الحرية؟ وكيفية التعامل مع حياتنا الاجتماعية؟ قال تعالى: «ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور» آية: (٤٠) سورة النور، ويجهل

العلمانيون أنه لا طريق لديهم للوصول للحق والصواب في العقائد والمبادئ والدولة والسياسة وغير ذلك غير طريق الدين الصحيح وليس من العلم أبداً أن يتبع كل فرد عقله وأن يصنع كل فرد عقائده ومبادئه، فالحقائق الفكرية ليست فردية وهذا ينطبق على الحقائق المادية أيضاً ولو كان كل طبيب أو مهندس يتبع عقله لا علم الطب أو علم الهندسة لأغلقنا كليات الطب والهندسة ولفسد علم الطب ولصار الناس حقول تجارب للأطباء وهذا هو ما تفعله العلمانية مع البشر فكل يوم «تطور عقلها» وهي في الحقيقة كل يوم تسير من باطل إلى باطل قال تعالى ﴿وَمَن كَانَ فِي هَـٰذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلاً﴾ آية: (٧٢) سورة الإسراء .

١٠- من المهم جداً ألا نهرب أو نتجاهل الاختلافات الفكرية لأنها فعلاً موجودة، ومن قال إن الاختلافات سببها الوحيد التاريخ والاختلاف حوله أو حتى الاختلاف بين الفرق الإسلامية بل الغالبية الساحقة هي اختلافات حديثة أي بين دول قوية تتصارع أو دولة قوية ودولة ضعيفة فهي اختلافات مصالح، أو عصبيات عرقية، أو حدود أو طبقات، أو صراع فكري وعسكري بين علمانيين رأسماليين وعلمانيين شيوعيين، أو بين دول استعمارية علمانية، كما هو واقع الحال منذ أربعة قرون حتى يومنا هذا وهذه الاختلافات أحدثت صراعات وفتن وحروب عالمية وغير عالمية، فالجزء الأكبر من الفكر الخرب الذي يشكو منه الناس هو فكر المصالح سواء كانت أموال أو مناصب وهو فكر تقف العلمانية عاجزة عنه بل خادمة له بل هي التي ساهمت في صناعته، لأنها قالت للمخلصين اتبعوا عقولكم فأقنعتهم أن مصالحهم ومصالح أوطانهم هي في كذا وكذا فتعصب المخلصين لأوطانهم أو أعراقهم أو اقتناعاتهم العلمانية في حين رأى الفاسدين في المبادئ العلمانية وسيلتهم لتبرير انحرافاتهم على المستوى الشخصي والعام .

١١- إن الحل العلمي هو أن نلتزم بالإسلام ولا ننبش تاريخ من مضوا، فالإسلام هو

قال الله وقال رسوله، والحل أن نواجه الاختلافات بين الفرق الإسلامية ونتحاور بناءً على ما عندنا من معرفة بالقرآن والسنة واللغة العربية وما عندنا من عقول ومنطق ونحدد الصواب من الخطأ ونضع المواثيق لنتعاون فيما يصلح أمور دنيانا حتى لو بقينا مختلفين فللأغلبية حقوق وللأقلية حقوق ومن يريد أن يصل للخير سيصل إليه والحل العلمي هو أن نواجه الخلاف بين المسلمين وغيرهم من أديان سماوية وعلمانيين بأن نحدد الحق من الباطل في ذلك أما من لم يقتنع أو لا يريد فليبقى على عقائده قال تعالى: ﴿لا إكراه في الدين﴾ آية: ٢٥٦ سورة البقرة .

ما أسوأ تسامح العلمانية !

كتب أحد الأخوة المتأثرين بالعلمانية مقالاً بعنوان «ما أجمل تسامحهم» ذكر فيه تسامح الدالاي لاما ممثل البوذية وتسامح البابا السابق وقال: « إنه يرى فرقاً كبيراً في درجة التسامح الإنساني ولا يمكن لرجل الدين المسلم أن يبلغهما يوماً وذكر أنهما لم يكفرا إنساناً ولم يبشروه بالنار في الآخرة ولم يؤذوا كاتباً أو مثقفاً ولم يتدخلوا لمنع كتاب ولم يروعوا أحد بفتاوى الدم والقتل ولم يتدخلوا في عمل الساسة ولم ينصروا يوماً طاغية أو مستبد بل اعتذرت الكنيسة الكاثوليكية عن صمتها إزاء جرائم هتلر ولم يتدخلوا في حياة الناس ولم يدعوا لقتال الآخرين باسم الدين ولم يدعوا قط أن دينهم فقط هو دين الحق وأن الأديان الأخرى باطلة ولا يمنعان بناء المساجد في أي بقعة يصل إليها نفوذهم الديني ولا يجبرون حكوماتهم على تدريس دينهم ونبذ ديانات الآخرين... الخ» وتعليقي على هذه الاتهامات هو ما يلي :

١- ما نعرفه عن المسيحيين أنهم يعتقدون أن دينهم هو الصحيح، وأن الإسلام هو دين خاطئ وأن محمداً ﷺ ليس نبي وليس صحيح أنهم لا يعلنون ذلك وهذا أمر معروف في حوارات تلفزيونية، ومن خلال شبكة الإنترنت وغير ذلك، فالمسيحيون واليهود لا يعتبروننا مؤمنين أو حتى أهل كتاب في حين أننا نعتقد أن عيسى وموسى عليهما السلام أنبياء وأنهم أهل كتاب سماوي فمبادئنا أكثر تسامحاً ومن البديهي أن من يعتقد أن دين أو مبدأ علماني حق وصواب عليه أن يعتقد أن ما يخالفه باطل وخطأ سواء أعلن ذلك أو لم يعلنه، وهل نسينا الحروب الصليبية علينا ومن خلفها من باباوات وغيرهم؟! وهل نسينا حروب الكاثوليك والبروتستانت وما بينهما من تكفير؟! أما تسليط الأضواء على المسيحية اليوم فقط وبصورة جزئية، فإن المسيحية ورجالها ضعفاء فقد تم احتلال دولهم من العلمانية والعلمانيين وفصلوهم

عن السياسة بل والحياة وهم أيضاً ليسوا بحاجة لحرب الإسلام فالدول العلمانية تفعل ذلك، والعلمانيون العرب يفعلون ذلك، ونقول ونكرر أن آيات القرآن الكريم تقول: أن المسيحية الأصلية واليهودية الأصلية هي أديان صحيحة، ونعتقد أن دين الأنبياء واحد وإن اختلفت بينهم بعض الشرائع، أما العلمانيون فهم يحاربون كل الأديان السماوية وغير السماوية حتى يبعدوها عن الدولة والسياسة بل إن انتقادهم للأديان السماوية هو عملهم الرئيسي وأشد بكثير من نقدهم لأنظمة فاسدة أو للزنادقة أو الفسق أو النفاق ولا يقبلون من الأديان إلا أن تستسلم لهم وتترك كرسي الحكم بل والاقتصاد والتعليم والحياة الاجتماعية وغير ذلك، أي هي اللادينية أو الاتجاه والمعاكس والمتصادم مع المسيحية والإسلام واليهودية والبوذية والهندوسية فأين تسامح العلمانيين ؟

٢- قيل قديماً «لو قلت الحق لأبغضوك» وهذا ما واجهه الأنبياء كلهم والحق هو الالتزام بالمبادئ الصحيحة، والبعد عن الصمت والمجاملات والنفاق والكذب في مواجهة أي انحرافات فكرية، فالإيمان يفرض عليك أن تقف مع التوحيد ضد الشرك، ومع العدل ضد الظلم، ومع المبادئ ضد العصبيات العرقية والسياسية، وضد الشهوات والانفعالات والفساد الإداري والمالي، وهذا سيجعلك عدو لذلك كله فالمبادئ الصحيحة أمانة كبيرة ومرهقة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أهم أعمدة الإصلاح، وأصحاب المبادئ الصحيحة مجبرون على دخول المعركة وإلا سيسيطر الفاسدون والجهلاء فليس من الحق ولا مصلحة البشر تمييع القضايا الفكرية وترك الناس على ضلالهم وليس صحيح أن الأديان متساوية وأن الله سبحانه وتعالى يقبل أن يُعبد بأي دين فالأمر جد وهناك جنة ونار وسعادة وشقاء في الدنيا والآخرة وعندما نقول كلمة الحق علانية فليس معنى هذا اضطهاد الناس أو إجبارهم على قبول الإسلام بل واجبنا الأول هو تبليغ الإسلام وهم أحرار يؤمنون أو يكفرون وكل هذا يجب أن يتم من خلال الحكمة والموعظة الحسنة أي بأخلاق رفيعة واحترام

وتعامل البابا والدالاي لاما بأخلاق عالية وبأسلوب حكيم أمر طيب ويشكرون عليه ولكن الحق لا يعرف بالرجال بل كما قال الإمام علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «إعرف الحق تعرف أهله» أما الصحابة وعلماء الإسلام فهم بلغوا قمما أخلاقية عالية جداً وقارن أخلاق أبو بكر أو علي بن أبي طالب رضي الله عنهما بما شئت من أخلاق وعلم وحكمة الحكام العلمانيين وغيرهم أما التسامح الصحيح والرحمة المميزة فيكفي أن تقرأ سيرة الرسول ﷺ لتعلم كم كان متسامحاً ورحيماً ومتواضعاً وعادلاً وزاهداً وعابداً وكريماً... الخ وباعتراف غير المسلمين أنه كان أهم شخصية أثرت في البشر قال أحمد شوقي رحمه الله تعالى :

فإذا رحمت فأنت أم أو أب هؤلاء في الدنيا هما الرحماء

٣- التسامح بلا حدود ليس هو التسامح الصحيح، لأن التسامح بلا حدود معناه تسامح مع الحكام مهما ظلموا حتى لو قتلوا وأشعلوا الحروب وتسامح حتى مع من يسرقون ويرتشون ويغشون ويقتلون ومعناه مسامحة تجار المخدرات، ومعناه التسامح مع مثقف يشتم الناس أو يطعن في ذممهم فما أسوأ هذا التسامح! وأتمنى أن يذهب الكاتب للمحاكم ويطالب الناس بالتسامح المطلق حتى يقتنع أن الفطرة والعقول أو أغلبها لا تقبل ذلك وأن الناس تريد حقوقها سواء كانت مادية أو معنوية أما إيذاء المثقفين والكتاب فأقول من العدل معاقبة المخطئ والمنحرف حتى لو كان مثقفاً أو حاكماً أو غنياً أو فقيراً فلا توجد حصانة للمثقفين .

٤- إذا كانت المسيحية والبوذية لا تعارضان بناء المساجد فهذا أمر جميل والإسلام لا يعارض بناء الكنائس والمعابد اليهودية فهي موجودة في كل بلاد المسلمين ماعدا جزيرة العرب وهذا ما حدث في واقع امتد منذ خمسة عشر قرناً أما المعابد البوذية والهندوسية وغيرها فأهلها لا ينتمون لبلادنا العربية وهي معابد موجودة في ماليزيا وإندونيسيا وغيرها من بلاد المسلمين ممن يعتبرون هؤلاء مواطنين فيها وياليت

العلمانية تقبل أن يكون في الدولة العلمانية حتى لو مادة في الدستور أو القانون ذات منبع ديني في مجال السياسة أو الاقتصاد فهي تعارض وترفض الدين حتى لو كان كل الشعب مسيحيين أو مسلمين وتسامحها فقط في بناء المساجد والمعابد أو في ممارسة الأفراد لعبادتهم، أي هي هدمت مبادئهم وسمحت ببناء معابدهم .

٥- لم تكن العلمانية الرأسمالية متسامحة حتى مع العلمانية الرأسمالية بدليل تحارب الدول العلمانية الأوربية الرأسمالية لعدة قرون وكذلك لم تكن متسامحة مع الأديان السماوية ولا مع العلمانية الشيوعية بل كانت تسميها معسكر الشر، ولا يريد العلمانيون العرب والآخرين إعطاء شعوبنا المسلمة الحرية في اختيار نظام الحكم الذي تريده وهذا ضد التسامح والحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان، فالعلمانية الرأسمالية تتسامح معك إذا قبلت أن تكون عبداً لها لا عبداً لله سبحانه وتعالى .

٦- إذا تعمقنا قليلاً في معنى التسامح وحدوده ومجالاته نلاحظ أن العلمانية فارغة فكرياً، فهي تناقش وتجادل في التسامح والحرية والعدل والرحمة والمساواة... الخ وهي لا تستطيع تحديد المعنى الصحيح للتسامح وغيره ومعروف أن الزائد أخو الناقص فكلاهما خطأ فالتسامح المطلق أو شبه المطلق خطأ والتسامح القليل خطأ والحرية الزائدة فساد والحرية الناقصة استبداد والمساواة الزائدة ظلم والمساواة الناقصة انحراف، فالعلمانية عاجزة عن وضع كل شيء بموضعه وعاجزة عن ربط ذلك أيضاً بالواقع وما فيه من أحوال فهي أشبه بمن يتكلم عن أجزاء طائرة مفككة من محركات متنوعة وأجهزة مختلفة وغير ذلك وأهمية كل قطعة دون أن تكون قادرة على عمل طائرة قال تعالى ﴿ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور﴾ (٤٠) سورة النور ومن يقرأ الإسلام يجد كتب تحدد لك معاني ومبادئ الجهاد والتسامح والتوحيد وحقوق الناس وحقوق الوالدين والواجبات الأسرية والعبادات والميراث والأخلاق وأهمية العلم والعمل ومبادئ التجارة وأحكام العقوبات وغير ذلك كثير

فهذا هو العلم وهذه هي الحقائق الفكرية في حين لا تجد في العلمانية لا محتوى فكري ولا توازن ولا شمولية ولا توجد عندهم كتب تشرح الفلسفة العلمانية في هذه الأمور ولا نريد كتب صحيحة علمياً بل حتى لو متفق عليها بينهم فليس عندهم بديل فكري نستطيع أن نهتدي به كل ما عندهم افصل الدين عن الدولة والجدل وتوجيه الاتهامات والسخرية من الآخرين وأديانهم .

٧- الظن أن من التسامح عدم إجبار الحكومات على تدريس الإسلام هو أمر غريب فشعوبنا أغلبيتها الساحقة مسلمين ونريد كشعوب أن يدرس أبناؤنا عقيدتنا ومبادئنا ولا نجبر غير المسلم على دراسة الإسلام وكان عندنا قبل أربعين سنة طالب عربي مسيحي ولا يحضر درس الدين فهو حرفي عقيدته ولا نمنع غير المسلمين من تدريس عقائدهم وليس من التسامح ولا من الحرية أن نمنع علماء الإسلام أو غيرهم من نقد المقالات والكتب ومن حق الدولة منع الكتب التي ترى ضررها، فبالتأكيد ليس كل ما يكتب مفيد ولم يقف علماء الإسلام المخلصين مع ظالم أو طاغية وإذا وقف بعضهم معه ضد عدوان خارجي علماني فهذا أمر مقبول إذا اقتنعوا بأن شر الطاغية أقل من شر العدو الخارجي وكثير من المعارضين في العالم لأنظمة حكم لا يقبلون أن تحتل بلادهم والغريب أن الكاتب يشكر الكنيسة الكاثوليكية عن اعتذارها عن صمتها إزاء جرائم هتلر لأن صمتها كان بناء على طلب العلمانيين بابتعاد الأديان عن الحكم والسياسة وهتلر لم ينطلق في مبادئه العنصرية من المسيحية بل مما دعته له العلمانية أي اتبع هتلر عقلك وعقله أقنعه أن النازية هي الحق وأن ألمانيا فوق الجميع وليس مطلوب من علماء الإسلام التعليق على كل صغيرة وكبيرة والمواقف الصحيحة مطلوبة من كل المسلمين وليس العلماء فقط أي مطلوبة من السياسيين والتجار والعمال والمدرسين والمحامين والصحفيين وغيرهم، وكم تكلم علماؤنا فإذا عارضوا قال عنهم العلمانيون أنهم إرهابيون أو رجعيون أو سطحيون أو غير ذلك وإذا أيدوا قالوا عنهم وعاظ السلاطين ومنافقين ويتاجرون بالدين ولنأخذ العلمانيين

العرب ونقول بالله عليكم من أكثر من دخل السجون العربية خلال الخمسين سنة الماضية لتصادمه مع حكومات عربية هل هم الإسلاميون أو العلمانيون؟! والجواب هو أن أعداد العلمانيين لا تصل حتى إلى ١٪ من أعداد الإسلاميين وإذا دخل بعض العلمانيين السجن بكى عليهم الإعلام الغربي واهتمت الدول الغربية بهم وجعلتهم أبطال أما المسلمين فلا أحد حتى يكتب كلمة عنهم من قبل الغرب أو العلمانيين العرب .

الحرية القبيحة

تعالوا نسلط الأضواء على موضوع الحرية من خلال ما يلي :

١- الحرية الغامضة:

لا توجد مبادئ اسمها الحرية والعدل والمساواة في عالم الفكر فهذا تزوير فكري بل توجد معاني كثيرة للحرية تختلف باختلاف الفكر الديني أو العلماني الذي تنتمي له والعدل في نظر أصحاب كل فكر هو تطبيق مبادئهم والظلم هو الانحراف عنها إذن لا تؤخذ كلمة العدل مجردة والمساواة قد تعني مساواة كل المواطنين بالأجر وقد تعني مساواة الناس في السكن وغير ذلك والحرية إذا زادت عن حد معين تصبح فوضى وفساد، وما أقوله ليس كلام نظري بل شاهدناه في الواقع، فالمساواة الشيوعية تعني العمل على تحقيق المساواة في الراتب، والسكن، وتعني محاربة الأغنياء، وحرية التملك في حين أن المساواة الرأسمالية تقبل الفوارق الكبيرة جداً في الغنى والفقر والرواتب والمساكن وتقتصر على المساواة القانونية والسياسية .

٢- حكاية الليبرالية:

قيل أن الليبرالية ظهرت في البداية في المجال الاقتصادي وهدفها تقليل سيطرت الدولة على الاقتصاد، وقيل معناها طلب المعرفة والحق في طرح أي أسئلة حول الحياة والدين والسلطة وحرية تعلم أي مجال، وتشجيع الدراسات العلمية، وحرية النقاش في هذه المواضيع، ولا يحق لأحد احتكار الحق وليس للآخرين إلا التسليم له والاقتباس منه، وقيل معناها لا تعطي أي اهتمام ووزن لعقائد الإنسان فالكل لهم حقوق متساوية، وقيل أن معناها التسامح والواقعية والمشاركة الشعبية، وقيل معناها حماية الفرد من تسلط الجماعة، وقيل معناها «تحرير» الإنسان من كل شيء وحتى المقدسات وأن الليبرالي لا ينتمي لأي فكر ديني أو علماني، وقيل معناها العلمانية أي

أن الدولة تقف على الحياد ولا تتبنى أي عقيدة دينية أو حتى علمانية وأن الشعب يقرر ما يريد، وقيل اقتناع الليبرالية بأنه ليس هناك حق وثوابت جعلها مرنة وتتغير مع الظروف والواقع بدرجة كبيرة ومادامت الليبرالية بمعاني متناقضة وعامة فمن الصعب تأييدها أو رفضها قبل تحديد معناها وهذه التعاريف الأوربية الليبرالية وغيرها لا تهمنا ولا تعكس واقعنا الإسلامي ولا يستفيد منها العالم وارموها في البحر فهي أشبه بآراء وأقوال الفلاسفة على مدى التاريخ، أي أقوال فيها حق وباطل وجزئيات فكرية وأمور لا خلاف حولها بين بني آدم ومثل هذا الكلام لا ينفع ومضيعة للوقت فلا تضيعوا البشرية أكثر مما ضاعت فقد ضاعت قرون فمن عنده القرآن والسنة وعقل وإخلاص وفهم للواقع والعلوم المادية سينطلق في بناء دستور وقوانين وأنظمة وأهداف وأخلاق وعقائد وأفراد ودول تجعل الحياة سعيدة في مختلف جوانبها، لأنه يعرف أن سيطرة الدولة الكبيرة على الاقتصاد خطأ وأن الحرية نوعان حرية عاقلة وحرية فاسدة ويعرف أهمية حماية الفرد وعقائده وأهمية مصلحة الجماعة والمجتمع، ويعرف أن الحقائق الفكرية لا تخشى النقاش والحوار، ويعرف أهمية الدراسات العلمية، وأهمية معرفة الواقع والتفاعل معه بصورة واقعية وتدريجية ومرنة... الخ .

٣- الليبراليون المتطرفون:

الليبراليون أنفسهم مختلفون على معنى الليبرالية وليس هذا فقط بل هم مختلفون في عقائدهم وآرائهم السياسية وليس عندهم هوية تحدد ملامحهم وهذا دليل فشلهم وضياعهم، وإذا كان غالبية الليبراليين صادقين في انتمائهم للإسلام فهناك ليبراليون متطرفون جعلوا هدفهم مخالفة الإسلام والتمرد عليه وجعلوا الفسق هدف لكثير منهم وهم مقلدون فكرياً للغرب وتابعون سياسياً له وتنكروا للغة العربية والثقافة العربية واعتبروا احتلال العراق تحريراً له وقيل عنهم أنهم يرون أمتنا

بمرآة غربية ويحاولون إصلاح واقعنا وهم لا يعرفون مبادئنا ونفسياتنا وحتى واقعنا ولهذا يحرثون في البحر وينتقلون من فشل إلى آخر، وهذا لا يعني أنهم شر خالص بل هناك إيجابيات لهم، مثل دعوتهم لأخذ الأمور التي نجح فيها الغرب، وواقعيتهم في التعامل مع الأحداث، ودفاعهم عن حرية الرأي، ومطالبتهم بالمشاركة الشعبية السياسية .

٤- ليبرالية إسلامية:

هل الليبرالية «دين جديد» أي منهج فكري متكامل صنعه البشر وإذا قال المسلمون الليبراليون لا بل هدفهم التركيز على مبادئ محددة مثل الحرية والديمقراطية، وحقوق الأقليات أقول بإمكانكم أن تركزوا على هذه المبادئ من خلال الفكر الإسلامي، فهناك مبادئ واجتهادات إسلامية تحقق هدفكم، بل تجعله شرعياً وشعبياً وقوياً، وإذا كان الأمر كذلك فليتم إعدام مصطلح الليبرالية والعلمانية حتى لا نستمر عقود أخرى في الحديث حولهما، لأن استخدامهم يسمح بدخول زنادقة وفسّاق وملاحدة وعلمانيين في صفوفكم، وإذا كان الأمر كذلك لا تصبح الليبرالية مظلة فكرية ولا اتجاه ولا حتى حزب متصادم مع الاتجاه الإسلامي .

٥- القيود الجميلة:

المسلم هو عبد فعلاً لأنه مقيد بمبادئ صحيحة كثيرة تفرض عليه واجبات ومسئوليات كثيرة نحو الله والوالدين والأسرة والمجتمع والسياسة والمال... الخ فلا يسمح لانفعالاته أن تنفجر، ولا شهواته أن تعبث، وسيجد أن الواجبات أكبر بكثير من الحقوق، وأنه يعطي الكثير، ويأخذ القليل، وما يقال عن المبادئ الفكرية الصحيحة يقال أيضاً عن قيود إدارية تحكم أنظمة العمل ولا تجعلك حراً فقد يكون من متطلبات العمل ألا تغادر مكتبك ثمان ساعات يومياً، وإذا قلت لمديرك أنا حر سأخرج من العمل وقت ما أشاء فسيفصلك، فكلمة حرية لا يجوز تداولها في العمل،

والمأساة أن كلمة الحرية لا تظهر إلا إذا كان الحديث عن قيود الأديان السماوية، أما القوانين والقيود التي تفرضها الدول العلمانية أو لوائح العمل فالكل ينفذ ويطبق وإلا فالعقاب ولو كانوا عقلاء لما أطاعوا المخلوقين وتمردوا على الخالق ولاقتنعوا بأن الله سبحانه وتعالى هو من ينعم عليهم وهو أشد عقاباً .

٦- الحرية العاقلة:

الفرق بين الحرية العلمانية الرأسمالية والحرية الإسلامية أن الحرية العلمانية تعطي الحرية حتى للزنا والتعري والأفلام الجنسية وشرب الخمر ولعب القمار... الخ أي حرية التمرد على ما يأمر به الدين في حين أن الحرية الإسلامية تمنع ذلك وتعاقب عليه وأي عاقل لا يريد هذه الحرية لأبنائه ومجتمعه، لأنها حرية ينتج عنها فساد عريض، أما حرية الرأي السياسي وحرية انتقاد الحكومات والحكام وحرية كتابة القصص والروايات النظيفة وحرية الحوار العقائدي وحرية اختيار العمل وغير ذلك من حريات عاقلة، أي صحيحة فالإسلام يسعى لها «ولا خير فيكم إن لم تقولوها ولا خير فينا إن لم نسمعها» و«متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا» .

٧- أقبح من ذنب:

أقول لمن يؤمن بالله سبحانه وتعالى من العلمانيين والليبراليين ليس عذر لكم أن تقولوا نحن نريد أن نطبق الحرية التي أمر الله سبحانه وتعالى بها ولكن لا نعرف ما هي هذه الحرية؟ وأي دين سماوي هو الصحيح؟ أو تقولون لا يوجد دين صحيح أصلاً وأن الله سبحانه وتعالى تركنا نحدد المعاني التي نشاء للحرية والعدل والإيمان وغير ذلك قال تعالى: ﴿أتقولون على الله مالا تعلمون﴾ آية: ٦٨ سورة يوسف، فهذه الأعذار أقبح من ذنبكم، لأنكم تعلمون أن عقولكم أعطتكم مبادئ متناقضة وهذا دليل الجهل والضياع وتعلمون أن الله حكيم ولم يخلقنا عبثا وبلا هدف وتعلمون أنه أرسل أنبياء، وهذا أمر يشهد عليه بلايين البشر والحرية الحقيقية أن يتحرر الإنسان

من كل شيء إلا طاعة الله سبحانه وتعالى، وأن هذا هو الطريق الوحيد للسعادة في الدنيا والآخرة .

٨- الحرية وأخواتها:

من صفات العلمانيين وكثير من الليبراليين بناء فكر جزئي فيعتقد بعضهم أن الديمقراطية تشفي كل الأمراض الفكرية والسياسية أو أن تطبيق القانون على الجميع سيحول كل أنواع التعاسة والفساد في المجتمع إلى سعادة وصلاح ومثل هذا يقال عن الحرية كأن الحياة قائمة فقط على الحرية أياً كان تعريفنا لها فأين المساواة والعدل والرحمة والواجبات والحزم والتسامح والتربية وحقوق الجماعة والأسرة والمجتمع وما معنى الفساد؟ وما هي حقوق الأفراد الشخصية؟ وهل من الحرية الطعن في أخلاقهم أو ذمهم أو شتمهم؟ وما هي حقوق الجماعة والمجتمع؟ ... الخ. وبالتأكيد إذا وضعنا هذه المبادئ والمصطلحات سنجد أننا بحاجة إلى بناء فكري شامل ومتوازن ومتكامل حتى نعيش فيه ووجدنا أن موضوع الحرية موضوع واحد فلا يقبل أن تأكل الحرية جزء من العدل أو الواجبات أو التربية أو غير ذلك وتصور يأتيك ابنك ليقول أنا حر ولا أريد أن أذهب للمدرسة أو يأتيك شاب ليقول حياتي وأنا حر فيها ولست مستعداً أن أهتم بوالدي ولنعتبر الزوجة التي تهمل أطفالها حرة فهذه حياتها الشخصية إن الحرية المطلقة كارثة وهي غير موجودة حتى عند أشد الدول العلمانية تطرفاً في مفاهيم الحرية .

٩- الحرية الحقيقية:

الحرية الحقيقية هي التي تبدأ من أول ملفات الحياة وهو ملف حرية الشعوب في اختيار عقائدها وأنظمتها، وأقول للعلمانيين والليبراليين لتعطى الشعوب الحرية الكاملة لأن تختار عقائدها ونظام الحكم فيها ونقبل جميعاً ما تختار حتى لا تستمروا في خلط الأوراق والبكاء على الحرية، ولنسأل الشعوب هل تريد نظام حكم

إسلامي بمفاهيمه للحرية أو تريد العلمانية الرأسمالية كنظام حكم والجواب يعرفه العلمانيون وهي أن نسبة الاختيار ستكون ٨٠٪ إن لم أقل ٩٠٪ وأكثر وهذه أغلبية ساحقة وليست عادية وهنا يكفر العلمانيون بالحرية والديمقراطية وحرية الاعتقاد، فالاستفتاء الشعبي يفضحهم ويجعلهم يقولون عن شعوبنا أنها جاهلة ومخدوعة ولا أدري لماذا يضيعون وقتهم في شعوب ترفضهم خاصة وأن تعبهم سيذهب هباءً منثوراً لأن الوعي الفكري والسياسي بدأ يزداد وبشدة في الأمة وأن تعبهم لن يأخذوا عليه أجر من الله سبحانه وتعالى بل عقاب شديد .

قول على قول

إذا كان الفلاسفة « مفكرين » وكان تناقضهم محدود الخطر، لأن من يقرأ كتبهم أو يقتنع بهذا الفيلسوف أو ذاك أفراد قلة فإن العلمانيين « سياسيون » نقلوا تناقضهم وجهلهم إلى الدول والسياسة والشعوب وفرضوها على الناس فأحدثوا فسادا عريضا وتصارعوا فيما بينهم كأفراد وأحزاب ودول، ومن يقرأ في كتبهم يدرك أنهم لم يفهموا الإسلام بصورة صحيحة، وأنهم لم يتناقشوا مع متخصصين بالإسلام، وأنهم يركزون على هدم مبادئ الآخرين من خلال التشويه وليست عندهم الأدلة اليقينية أو حتى القوية، كما أنهم لم يتعمقوا في العلمانية وإليكم الأدلة :

١) قال الأستاذ فاخر السلطان:

« تستند العلمانية على علاقة وطيدة مع عالم الطبيعة والمادة وتبتعد ما أمكن عن عالم ما بعد الطبيعة ، وتعتبر الدين أحد عناصر ما بعد الطبيعة » ص٦ (كتيب بعنوان العلمانية) وأقول يقصد أن العلمانية على علاقة وثيقة بالدنيا وأقول الإسلام على علاقة وثيقة بالدنيا أيضا وبالدول والسياسة والأفراد والاقتصاد ... إلخ فكيف يحق « للعلمانية » اعتباره لا شأن للدين بالدنيا وأنه أحد عناصر ما بعد الطبيعة وهذا يتعارض مع بديهيات فكرية وتاريخيه وواقعية، ومن قال أن للعلمانية علاقة وثيقة بعالم المادة أو العلوم المادية، لأن هذه العلوم يؤيدها المسلم والمسيحي واليهودي والبوذي والعلماني.... الخ فلا يحق للعلمانية الزعم أنها على علاقة أوثق من غيرها خاصة وأن العلوم المادية: كعلم الكيمياء والفيزياء والفلك... الخ) لا يشهدون أن العلمانية قائمة على قاعدة من الحقائق المادية فانتسابها للعلوم المادية تزوير للحقائق «البديهية».

٢) قال الأستاذ فاخر السلطان:

«وفي العصر الحديث لا يمكن قبول نهج سياسي يستند إلى «الحقيقة» وبالذات الدينية لأن معيار « الحقيقة » تلاشى لصالح معيار «الحرية» الأمر الذي جعل المزج بين السياسة والدين أمر غير واقعي ومناقض لحرية الإنسان» ص٨ كتاب «الدين، التنوع ،الإنسان » وأقول معنى هذا الكلام أن الحرية العلمانية تتصادم مع كل الحقائق الفكرية وخاصة (الإسلام)، ومن يتصادم مع الحقائق في الغالب هم الزنادقة والملاحدة والمفاهيم الخاطئة للحرية والعدل والمساواة، فمن يرى أن الحرية هي حرية الزنا والأفلام الجنسية فمن الطبيعي أن يتصادم مع الحقيقة أي العلم الفكري أي النور أي الهداية أي الصراط المستقيم.

٣) قال الأستاذ فاخر السلطان:

«لا يمكن لرأي أو تفسير ديني أن يدعي بأن رأيه وتفسيره هو القرآن بل هو مجرد فهم للقرآن» وقال «يعتبر إصلاح الدين هو دعوة لفهم ديني جديد يتواكب وتغير الحياة ويتوافق وواقع العصر وظروفه» ص١٥، ١٦ وأقول الإسلام حقائق فكرية ثابتة لا تتغير جاءت بلسان عربي مبين والأحاديث النبوية الصحيحة واضحة وتركنا الرسول ﷺ على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك ولا توجد مشكلة في ذلك عند أغلبية المسلمين وهم السنة، فالمفاهيم الإسلامية واضحة عند كثير من المسلمين، فالإسلام ليس فكر غامض أو معقد بل هو منهج حياة واضح في عقائده وأخلاقه وأحكامه وكتب التفسير والحديث توضح ذلك، وهذا لا يمنع من وجود قليل من الاختلافات التي تقبلها اللغة واختلاف العقول أما الاختلاف فيما لا نص فيه وكيفية التعامل مع اختلاف الزمان والمكان والأحداث فإن هذا أمر طبيعي، وهناك أجران لمن يصيب في اجتهاده وأجر لمن يخطئ أيضا ويقصد العلمانيون (بإصلاح) الدين أو تفسير جديد للدين تغيير المعاني الحقيقية الواضحة التي جاءت

بلسان عربي مبين وإعطاء شرعية للمبادئ العلمانية بل إلباسها ثوبا إسلاميا وإذا لم نفهم القرآن فصدقوني لن نفهم أي دستور أو قانون أو سياسة فكل واحد سيصبح من حقه أن يفسر كما يشاء .

٤) يدندن العلمانيون على المساواة المطلقة بين المواطنين أمام القانون في الدولة العلمانية وأقول أولا المساواة السياسية والقانونية كبيرة جدا بين المواطنين في الدولة الإسلامية بل يعاقب المسلم إذا شرب الخمر ولا يعاقب غيره على ذلك ويعاقب على الارتداد من الإسلام ولا يعاقب غير المسلم إذا غير دينه حتى لو عبد صنما أو نارا وثانيا المساواة ليست مطلقة في الدولة العلمانية، فالرئيس الأمريكي لا يحاكم أمام القضاء بل أمام سياسيين، وهناك حصانة يعطيها رئيس الولايات المتحدة وهذا ما أعطاه الرئيس جورج بوش الإبن للرئيس بيل كلينتون وثالثا من البديهي أن المساواة المطلقة غير موجودة واقعيا، فالبشر يختلفون فيما يملكون ويختلفون في جمالهم و صحتهم وفي الفرص التي يحصلون عليها في التوظيف والمناصب ..... إلخ ورابعا: القوانين التي تطبق في الدول العلمانية الرأسمالية فيها اختلافات كبيرة في المسموح والممنوع والعقوبات فمثلا هناك من يعدم القاتل المتعمد وهناك من يسجنه وهناك اختلافات في مدة حبسه في حين أن القوانين الإسلامية واحدة والاختلاف موجود فيما لا نص فيه، فالمساواة القانونية بين الدول أمر مطلوب فالكل بشر وخامسا : في الإسلام قبول لاختلاف المواطنين في أديانهم وطوائفهم وهناك أسس للتعامل مع هذه الاختلافات.

٥) وجود أيدلوجيات مختلفة أي عقائد ومبادئ مختلفة أمر معروف والحل الذي عند العلمانيين هي رفضها كلها وهذه الحيادية خطأ قاتل لأن العقل السليم يقول « اعرف الحق تعرف أهله » وأقول الفكر الديني الصحيح هو واحد منذ آدم عليه السلام حتى محمد ﷺ، وأن الباطل هو ما خالف هذا الفكر سواء كان فكرا دينيا مشوها أو فكر

علماني رأسمالي أو شيوعيا أو نازيا، فالاختلاف لا يحل بالكفر بالجميع، فوجود الله سبحانه وتعالى حق وأي فكر أو مبدأ يقول بخلاف ذلك باطل وشر وقل مثل ذلك عن بقية المبادئ الصحيحة والكفر بكل المبادئ هو أيدلوجية أيضا، أي فكر علماني رأسمالي فهو أيدلوجية يئست من الوصول للحق .

٦) قال الأستاذ زهير الخويلدي:

« هناك تنافر حسب الرأي السائد بين الدين والعقل ولا سيما أن الدين يفيد الإيمان والاعتقاد والتسليم والطاعة والتقليد والنقل والتقديس، بينما العقل يفيد التفكير والشك والرفض والحرية والإبداع والبرهان والتنسيب » ص٩٣ كتاب «التجديد في الدين» وأقول أولا : الرأي السائد يقول أنه لا يوجد تنافر بين الدين والعقل إلا عند الزنادقة والملحدين أما المؤمنين فقد اقتنعت عقولهم بوجود الله سبحانه وتعالى، وصدق الأنبياء وهذا ما يعتقده كل أصحاب الأديان السماوية وعددهم أكثر من مليارين، كما أن الهندوس والبوذيين وغيرهم يؤمنون بصحة أديانهم وهذا يعنى أن العقول مقتنعة بالأديان سواء كانت صحيحة أو خاطئة فأين التنافر بين العقل والدين ألا ترى هذا الواقع الكبير ثانياً: كأن المقصود أن الدين يعني الجهل، والعقل يعني العلم، وأن الدين يصنع الإيمان والطاعة لله سبحانه وتعالى، وهذا أمر مرفوض والعقل يصنع الكفر والزندقة وهو أمر مقبول ثالثاً: أن التناقض والتنافر هو بين علم فكري وجهل فكري بين دين صحيح وبين دين باطل وبين دين صحيح وبين العلمانية رابعا : من قال أن العقل يقبل الفكر العلماني المبني على التناقض والاختلاف والظن والتصادم ولا أدري ؟

٧) يقول العلمانيون: « أنهم يفهمون الدين « الإسلام » على أنه ارتباط بين الفرد وخالقه ولا علاقة له بالدولة والسياسة والقوانين، ومن يقول غير ذلك جماعات متطرفة أو اجتهادات لبعض علماء المسلمين » وإذا رجعنا للقرآن الكريم وأحاديث

الرسول الكريم ﷺ وسيرته وعلماء المسلمين وجدنا الإسلام دين ودولة وسياسة واقتصاد، والغريب في هذا الموضوع أن العلمانيين يشرحون لنا الدين و يقول العقل أن تحديد ملامح أي فكر هو من اختصاص أصحابه لا خصومهم إذن أيها العلمانيون الإسلام دين ودولة وأنتم تتصادمون مع مبادئ الإسلام وتتصادمون مع عقائد الأمة العربية .

٨) لا توجد أزمة للإسلام مع العصر الحديث أبدا إلا في عقول العلمانيين وتطبيق الإسلام في الدولة والسياسة والتعليم والاقتصاد .... الخ أمر ممكن وحدث ويحدث في كل زمان ومكان والدليل أن المسلم الملتزم يتمسك بدينه ويعيش حياته الدنيوية بسلاسة ويتعامل مع أمور الحياة بصورة طبيعية بل إن حياته أفضل من حياة من انشغلوا بالزنا والخمر والجري وراء المال ومن قال أن العيش في القرن الواحد والعشرين يتطلب قبول انحرافات سياسية واقتصادية أو تعليمية صنعتها الدول العلمانية أو قليل من مواد حقوق الإنسان تعطي الشرعية للزواج المثلي أو غيره إن هذه المبادئ الفاسدة مرفوضة جملة وتفصيلا وهذا ليس عنادا أو غرورا بل هذا طريق الأنبياء وعند المسلمين ثقة وعزة وكرامة ونور وجهاد تجعلهم يسعون لتدمير المبادئ الباطلة فهم لا يقبلون السكوت عنها فكيف يقبلون بها .

٩) يظن بعض العلمانيين أن المسلمين يخافون من الحوار العلمي، لأنه سيوضح للناس أن الإسلام ليس علم وأن فيه تناقض أو أن القرآن ليس معجزة أو هنالك تناقض بين الدين و العلم أو الدين والعقل أو أن تاريخ المسلمين أسود أو غير ذلك وأقول أهلا بالحوار العلمي ألف مرة وأقول وأكرر حتى آراء الزنادقة تم ذكرها في القرآن ولا توجد قضية أكبر من وجود الله سبحانه وتعالى ومع هذا عرفنا آراء الزنادقة ورد القرآن عليهم واتهم الرسول ﷺ بالسحر والجنون والكذب فماذا إذا بقى من الاتهامات لم نسمعها وصدقوني إذا حصل حوار علمي هدفه الوصول للحقائق لا

الجدل فإن العلمانيين سيعرفون براءة العلم الفكري والمادي من العلمانية.

١٠) التقيت بشاب مقتنع بالعلمانية وتطرقنا إلى مواضيع مختلفة فقال الشاب : « الذي صنع الفكر الشيوعي والفكر النازي هم علمانيون ولكنهم أخطأوا في فهم العلمانية والعلمانية الصحيحة هي الرأسمالية الليبرالية » وأقول الحمد لله أن هناك علماني واحد مقتنع بأن العلمانية مسئولة عن الفساد الذي سببته الشيوعية والنازية، نعم الرأسمالية الليبرالية أفضل من الشيوعية والنازية، لأنها تقبل وجود الغنى وتشجع الاستثمار وتدافع عن كثير من الحريات، ولكنها مسئولة عن التعصب العرقي القومي والوطني ومسئولة عن الاستعمار وحروبه، ومسئولة عن التفكك الأسرى والاجتماعي وعن سيطرة الفساد الجنسي ..... الخ، فالمقارنة التي في عقل هذا الشاب العلماني بين سيء وأسوأ وليس بين الحق والباطل .

١١) القول بأن المبادئ الدينية قائمة على الإيمان، وليست قائمة على العلم والعقل أمر باطل، فالإسلام قائم على حقائق فكرية ومادية تثبت وجود الله وصدق الأنبياء وما بني على صواب فهو صواب وإن لم يكن الإسلام علم فهو جهل وخرافات وأساطير، أما ألا يكون علما ولا يكون جهلا فهذا أمر غريب وأسلوب العلمانية هي لا أدري ولا أعلم ولا رأي لي وتضيف له المجاملات والكذب والنفاق والضبابية والغموض والتجاهل وهذه هي صفات الجهل والجهلاء لا العلم والعلماء .

كيف نحارب التخلف؟

أقيمت في الجمعية الثقافية الاجتماعية النسائية بتاريخ ١٠ يناير ٢٠١٢ محاضرة للأستاذ إبراهيم البليهي وكان الهدف من المحاضرة التعرف على رأي الأستاذ إبراهيم في كيفية محاربة التخلف؟ وكانت المحاضرة والتعقيبات التي حدثت فيها دليل قاطع على أن أحد أسباب التخلف العربي هو التأثر بالعلمانية والليبرالية، فقد اتضح أن الأخوة الذين يسمون أنفسهم ليبراليين أو علمانيين مختلفون إلى حد التناقض فكيف يتحقق التقدم؟ فقد اقترح الأستاذ أحمد الصراف تدمير النفط حتى نعتمد على أنفسنا ونتقدم، وسأل الأستاذ سامي النصف هل التخلف مرتبط بالجينات العربية؟ لأننا طبقنا في العالم العربي الرأسمالية والاشتراكية والشيوعية ولم نتقدم في حين أن دول غير عربية طبقتها وتقدمت وسأل هل التقدم مرتبط بالعقائد؟ واستشهد بأن الدول البروتستانتية تقدمت أما الدول الكاثوليكية فتخلفت؟ والحمد لله أن الأستاذ إبراهيم قال لا علاقة للجينات بالتقدم وقال إن التقدم ليس مرتبط بالبروتستانتية، لأن هناك دول بوذية تقدمت، وأقول هذه إجابة نصف صحيحة، لأن التقدم الفكري (العقائدي والسياسي والاجتماعي) لا يتحقق إلا بعقائد صحيحة (الإسلام)، أما التقدم المادي فمن أخذ بأسبابه تقدم. إذن العلمانيين والليبراليين ليسوا فقط متناقضين فكرياً حول الدساتير والقوانين العادلة بل هم متناقضين أيضاً حول مفاهيم التخلف والتقدم وكيفية تحقيق التقدم؟ فهم في ظلمات بعضها فوق بعض ولا يقبل من رجل عادي ناهيك عن الأستاذ أحمد الصراف أن يطالب بتدمير النفط، ولكن النظرة الشمولية والعميقة مفقودة عندهم، وهل يعقل أن يتساءل مثقف كبير مثل الأستاذ سامي النصف وفي بداية القرن الواحد والعشرين عن احتمالية وجود علاقة بين الجينات والتقدم؟! ولا يوجد أبداً دليل من علوم الأحياء على ذلك ونعلم كمسلمين أن البشر متساوين، وأن التقدم المادي أو الفكري غير مرتبط

بالجينات، وأعذر الأستاذ سامي على سؤاله، لأن الروح التشاؤمية لمحاضرة الأستاذ إبراهيم تدمر معنويات وطن فما بالك بفرد. ولو تواضعوا لشرحنا لهم الموضوع ولكن كثيراً منهم لا يريدون أن يستمعون، وكيف يستمعون لمن يعتقدون أنهم متخلفون ومتطرفون وسطحيون وظلاميون ومتأسلمون وجامدون وسأسلط الأضواء على ما قاله الأستاذ إبراهيم البليهي من خلال هذه النقاط :

١- ركز الأستاذ إبراهيم على أن التقدم هو في نقد المسلمات، وحرية التفكير، أي كلما طرحنا الآراء المناقضة للمسلمات والاقتناعات التي في عقولنا ولم نرفض هذه الآراء نتيجة انغلاق فكري أو سلطة سياسية، فإننا سنتقدم وهو يرى أن تخلفنا هو بسببنا وليس من العدل إلقاء سبب وجوده على الغرب أو غيره وأقول نعم نحن من نصنع التقدم بإذن الله تعالى ونحن المسؤولون عن صناعة التخلف أيضاً. ويرى الأستاذ إبراهيم أن الصدمات الحضارية هي التي تجعل الشعوب تنهض، والغريب كما يقول أنه حدثت للعرب صدمات حضارية كثيرة فلم تنفع معهم. وأقول لا شك أننا بحاجة إلى حرية الرأي والنقد، وأن المطلوب من كل عاقل مراجعة وتقييم المسلمات العقائدية والاجتماعية والسياسية التي ورثها من مجتمعه، وعلى كل بني آدم أن يفعلوا ذلك خاصة وأن هناك تناقضات كبيرة فيما ورثوه. واطمئن الأستاذ إبراهيم أن «المسلمات الفكرية» الصحيحة أو الخاطئة ليست هي المسيطرة على العرب في هذا القرن قال الأستاذ أنيس منصور- رحمه الله- «إذا تكلمنا فكلنا أصحاب مبادئ وإذا عملنا فكلنا أصحاب مصالح» وطبعاً كلامه فيه جزء من الصواب. ويعيش العالم العربي في تنوع فكري وسياسي كبير فهناك أديان سماوية، وطوائف، وهناك علمانيون وليبراليون وغيرهم وحتى المسلمين السنة ليس عندهم كثير من المسلمات المتمسكون بها فمثلاً بعض المسلمين السنة متطرفون في الولاء للحاكم وبعضهم متطرفون في البراء من الحاكم. وأي قراءة للواقع المصري أو المغربي أو السعودي أو الكويتي أو غير ذلك يثبت ذلك فلا توجد قضية لم يتم مناقشتها في الفضائيات أو الإنترنت أو

الكتب أو غير ذلك ابتداءً من وجود الله سبحانه وتعالى ومروراً بالقضايا السياسية وانتهاءً بحدود الحرية الشخصية فطرح الآراء المخالفة موجودة وبشدة في ساحة الواقع العربي والعالمي .

٢- من الخطأ أن نجعل الحل السحري أو حتى بداية الانطلاق للتقدم هي في نقد المسلمات فعلينا أولاً أن نعرف أسباب التخلف في عالمنا العربي، وهل هناك سيطرة للمسلمات أم سيطرة للجهل وللفساد معاً، كما أن علينا أن نحدد بدقة معنى أو معاني التخلف والتقدم. فالتقدم قضية متشعبة الجوانب أي هي قضية فكرية وسياسية واجتماعية وتعليمية وزراعية وصناعية... الخ فإذن العلاج سيكون متشعب الأدوية. واعتبر الأستاذ إبراهيم إن من المسلمات التي بحاجة إلى رفض القول بأننا كمسلمين من صنع التقدم الغربي في العلوم المادية، وأن عملية التقدم المادي عملية سهلة وبسيطة، وأقول ملايين العرب ممن درسوا العلوم والهندسة والاقتصاد والإدارة يعرفون أن العلوم المادية والإدارية صناعة غربية، ويعلم أهل الصناعة من العرب أن التقدم التكنولوجي الغربي عظيم ومعقد وصعب فقلة قليلة من العرب من يعتقدون بعكس ذلك، ولا أدري لماذا اعتبر الأستاذ إبراهيم أن هذه مشكلة؟! وأقول له ما أكثر الآراء والمسلمات الشاذة والخاطئة والمتخلفة التي هي موجودة عند بعض العامة وحتى بعض الخاصة وهذا الكلام ينطبق على كل أمم الأرض وليس العرب وحدهم وكم تكلم الخاصة في أمور ليسوا متخصصين فيها فانتجوا الحماقات وقالت العرب «لو سكت من لا يدري لاستراح الناس» إن «المسلمات» و«الأسئلة» التي ذكرها الأستاذ الصراف والأستاذ النصف أخطر من قلة تظن أننا صنعنا التقدم في العلوم المادية ويا ليتك يا أستاذ إبراهيم تسلط الأضواء على المسلمات الخاطئة التي قالها بها الفلاسفة والعلمانيون والليبراليون خلال المئة سنة الأخيرة ألم تقل الفيلسوفة الفرنسية سيمون دي بفوار «يجب تحطيم الأسرة لأنها المكان الذي تضطهد فيه المرأة» .

٣- قال الأستاذ إبراهيم إن معرفة أن الأرض تدور حول الشمس جعلت الغرب يشك في المسلمات مما كان أساس بداية نهضته، وأقول لم يكن الغرب على رأي واحد ولم يكن محارباً للعلوم المادية بدليل وجود الفلاسفة اليونانيين، وعلماء المسيحية وبنوا الكنائس والقلاع وهذا تطور هندسي. وما حصل من صدام هو صدام جزئي بين بعض رجال الدين وعدد محدود جداً من علماء المادة ويحرص العلمانيون على تزوير هذا الواقع التاريخي، وهذا متوقع فكل طرف يشوه أعداءه الفكريين وكل ثورة على نظام سياسي تزيد من عيوبه وتخفي مزاياه. أما تقدم الغرب العلماني في العلوم المادية وفي بعض الجوانب الفكرية فقد حدث خلال القرن العشرين لعوامل كثيرة وليس سببه صراع جزئي وصغير حول بعض المسلمات، والعوامل التي أثرت به هي التنافس الاستعماري العلماني، ونشوء الدول القومية، والتنافس الاقتصادي بين الشركات الخاصة، والاقتناع بأن الاستثمار بالعلم هو الطريق إلى الأرباح، كما أن فساد أنظمة سياسية وكثرة الحروب جعلتهم يطورون من أنظمتهم ووجود عمالقة مثل الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي واليابان جعلت أوروبا تتحد إذن عوامل كثيرة أثرت في الواقع الغربي. ولو أخذنا مصر كمثال للواقع العربي لوجدنا تنوع في العقائد والاقتناعات والآراء منذ بداية القرن العشرين، ولوجدنا تحولاً من الاحتلال إلى الاستقلال ومن الملكية إلى الجمهورية ومن التحالف مع الغرب إلى التحالف مع الشرق إلى إعادة التحالف مع الغرب فما أكثر التنوع! وما أكثر الصدمات! فلماذا لم نتقدم؟! إذن الموضوع بحاجة إلى تعمق كبير ومثله يقال عن رأي الأستاذ إبراهيم حين قال إن بن رشد حتى لو كان متميزاً فالمسلمون يتبرءون منه وأنه نقل من الفلسفة اليونانية أي بضاعتهم ردت إليهم وأقول يا أستاذ إبراهيم إن الله سبحانه وتعالى هدانا للصراط المستقيم أي الإسلام أي (التقدم الفكري) فنحن نعرف أسس النجاح في الدنيا والآخرة وبأيدينا أن نؤمن أو نكفر أو أن نتعصب لأعراقنا، أو نتبع شهواتنا، أو غير ذلك؟ ولا نعتبر ابن رشد أو حتى كل فلاسفة الأرض أمر نفتخر

به، فالفكر الفلسفي وهو الأب للفكر العلماني لا نحتاجه ونعرف أين أصاب؟ وأين أخطأ؟ وما أقوله ليس غروراً فقد بنينا بالإسلام المساواة العرقية والوعي العقائدي والعدل والرحمة والجهاد وحب الخير للناس والتواضع ولم يكن «الفكر الفلسفي» في يوماً ما فكراً تقدمياً بل هو آراء متناقضة ويعرف القاصي والداني أن الفلاسفة قوم متناقضون ووجود التناقض الجذري دليل على الجهل والضياع وأعطني من سياسيين ومفكري العلمانية قادة مثل أبو بكر وعمر وعلي رضي الله عنهم أو مثل ابن القيم والغزالي ومحمد عبده وهذه أمثلة واقعية وأدلة واضحة تثبت من عنده تقدم فكري وعدل حقيقي لا سراب يحسبه ماء .

٤- قال الأستاذ إبراهيم «إن العقلانية أصبحت تهمة في العالم العربي» وأقول يعلم الأستاذ إبراهيم أكثر مني أن العقل المسلم مبني على ثلاثة أعمدة وهي الإسلام والعقل ومعرفة الواقع أما موقف المسلمين من طه حسين فقد قال آراءه واتفقوا مع كثير منها مثل تشجيع التعليم وبعض إنتاجه الفكري فقد درسنا على سبيل المثال في مناهجنا التعليمية قصة «الوعد الحق» لطه حسين وعارضوه في علمانيته والتي يطالب فيها بتقليد الغرب في سلبياته أيضاً وعارضوه في تصادمه مع الإسلام في كتابه عن الشعر الجاهلي وقل لي بربك هل من الصواب أن نقلد الغرب حتى بسلبياته إذن العقلانية ليست تهمة ولكن لأن العلمانيين يعتقدون أنهم وكلاء العقل وأن مبدأهم قائم على العقل وعندما ينسبون للعقل رأي يخالف الإسلام يقوم بعض المسلمين جهلاً بنقد العقل ولو كانوا واعين لقالوا لم يقل العقل شيئاً أبداً، فالعقل ليس جهاز نذهب إليه ونسأله فيعطينا جواباً علمياً فما يوجد هو عقلي وعقلك وعقول البشر وهي عقول تعطينا آراء متناقضة فالعقل الحكيم بريء من العلمانية براءة الذئب من دم يوسف وانتساب العلمانية للعقل أكذوبة كبيرة عليك أن تتعمق فيها . والفرق بيننا وبين الغرب أن الغرب يفتح للعقل الأبواب على مصراعيها ليقول ما شاء من حق وباطل وإصلاح وفساد وخير وشر وهدي وضلال في حين أننا بالإسلام والعقل رسمنا

خارطة طريق للعقل والحياة وأبعدناهما عن الباطل والفساد والشر والشتائم والكلام القبيح والسخرية والفوضى والحماقات والفتن فلا تنتج عقولنا مبادئ الزندقة أو الإلحاد أو الاستبداد أو العنصرية أو الاستعمار أو إتباع الشهوات أو غير ذلك وفي نفس الوقت أهلاً بالنقاش العقلي حتى في قضية وجود الله سبحانه وتعالى فما بالك بغيرها. وليت العلمانيون ركزوا جهودهم العقلية على كيف نطور الصناعة والزراعة والتعليم والإدارة والبحث العلمي وغير ذلك ولو كانوا فعلوا ذلك وكانوا كثيرين في العالم العربي لحققوا تقدماً في هذه المجالات ومادام أن هذا لم يتحقق فهذا دليل على أنهم إن كانوا كثيرين فلا يهتمون بهذه الأمور أو أنهم قلة لا وزن لهم في الأمة وأنهم يعملون من حيث يدرون أو لا يدرون على التشويش وإثارة الفتن ونشر اليأس وهذا للأسف ما أدركه الأعداء فأخذوا يلمعونهم إعلامياً وسياسياً لأنهم طابور خامس وقلت لصديق ليبرالي يعشق الغرب إنك تقوم بدور طابور خامس بآرائك بدون أن تأخذ أجر من الغرب مقابل ذلك.

٥- ليس صحيح ما يعتقده الأستاذ إبراهيم إن عقولنا العربية جامدة ومحافظة وتقليدية وترفض التجديد فنحن نرفض العلمانية وما شابها من العقائد الباطل أما التجارب الإنسانية والعلوم المادية، فالأبواب مفتوحة لهما فلدينا قبول نظري على الأقل للديمقراطية والعلوم الإدارية والتكنولوجيات الحديثة بل قلدنا الغرب حتى في الملبس والمأكل والمسكن ويتعامل القادرون منا مع أحدث وسائل الاتصالات والمواصلات وذهب مئات الآلاف من الطلبة العرب للدراسة في الغرب أما مبدأ معارضة الجديد وخاصة في الجانب الفكري فهو أمر طبيعي وحدث على مر العصور وعند كل الشعوب فكل جديد مرفوض مؤقتاً، لأن هناك اقتناع بعقائد الآباء والأجداد فالتغيير في العقائد والفكر والحياة الاجتماعية تغيير بطيء وتدريجي هذا إذا كانت العقائد الأصلية باطلة أما إذا كانت العقائد صحيحة كالإسلام فمن الطبيعي أن يكون التغيير صعب إن لم يكن مستحيل ولهذا نجد الوثنيين يصبحون مسلمين أو

مسيحيين، لأنها أديان سماوية أي أرقى فكرياً ولا نجد يحدث العكس إلا في حالات نادرة جداً ومما يؤيد ما أقول أن من أسلم من الأوربيين احتاج في الغالب سنوات من القراءة والتفكير والحوار حتى انتقل من العلمانية أو المسيحية إلى الإسلام. وعلينا أن نفرق بين العامة والخاصة فالعامة في كل الشعوب تجد عندها تعصب وتأثير العواطف عليها أكبر في حين أن الحديث مع الخاصة من مفكرين وسياسيين أسهل وأكثر علمية وأكثر تقبلاً للنقاش والحديث في المسلمات والمقدسات .

٦- من يستمع للأستاذ إبراهيم سيقتنع أنه انتقائي وجزئي في آرائه، فليس لديه صورة كاملة وهو اعترف أن لديه مشروع للإصلاح لازال يبنيه وهذا دليل على أنه لم يحدد الصورة الكاملة ومع هذا يتكلم عن التقدم والإصلاح وأقول له لا تتعب نفسك، فالعقلانية كما تؤمن بها ليس من طبعها رسم الصورة الشاملة لا فكرياً ولا سياسياً ولا تبدأ من الأصول إلى الفروع ولا تربط الدنيا بالآخرة ولا الدين بالحياة أو السياسة، فالشمولية والعمق والتكامل ليس من صفات العلمانيين والليبراليين والفلاسفة بل حياتهم قائمة على آراء متناقضة ومتناثرة ومتصادمة كدول وتجمعات، بل حتى كأفراد ولهذا من أساليبهم أنت حر في آرائك وهذه حرية شخصية ولنحتكم إلى تصويت الشعب، لأنه ليس عندهم علم أو مشروع فكري وإصلاحي يتمسكون به وليس عندهم موازين يقيسون بها الحق من الباطل والصواب من الخطأ. ويسلط الأستاذ إبراهيم الأضواء على أجزاء هنا وهناك فيقول: إن التقدم هو الاستثناء، والتخلف هو القاعدة وقال إن العرب جعلوا الولايات المتحدة تتخلف، لأنها أصبحت نتيجة أحداث ١١ سبتمبر دولة بوليسية، وأننا لم نتقدم خلال الخمسين سنة الماضية وأن ما حققناه من تقدم هو نتيجة النفط وأننا لم نقدم للإنسانية شيء، وأقول قدمنا للإنسانية التقدم الفكري كله وحولنا بفضل الله أكثر من مليار من البشر للرقي العقائدي، والتقدم الفكري أهم من التقدم المادي، لأنه تطور في الإنسان والتقدم المادي تقدم في الأدوات؛ وإنشأنا دول عظمى ومتوسطة وصغيرة وأنشأنا العدل

والرحمة وعاش في العالم العربي ملايين من أهل الكتاب وغيرهم على عقائدهم وهذا ما لم تستطيع العلمانية تحقيقه في أوربا؛ فهجرت كثير من المسلمين وكانت هناك إيجابيات وسلبيات للخلافة العثمانية ومن إيجابياتها باختصار شديد أنها كانت دولة عظمى حتى بداية القرن العشرين، ووحدت كثير من بلاد المسلمين وهذا ما عجز عنه العلمانيون العرب قال الشاعر :

أقلوا عليهم لا أباً لأبيكم من اللوم أوسدوا الفراغ الذي سدوا

وتقول الموضوعية أننا حققنا تقدم هائل في دول الخليج خلال الخمسين سنة الماضية، فالماء الذي هو أساس الحياة كان نادرا ولم تكن هناك مدن ناهيك عن مصانع وطرق ومدارس ومطارات وموانئ وشركات، وكان الأمن ضعيف قبل قرن في حين أنه حالياً ممتاز جداً وأفضل من الأمن في الولايات المتحدة التي توجد في بعض مدنها مناطق خطرة، وعندنا حالياً مئات الآلاف من الجامعيين، وملايين الطلبة في المدارس، ونكاد نقضي على الأمية هذا غير النهضة العمرانية والصناعية، وفي وسائل المواصلات وغير ذلك والغريب أن الأستاذ إبراهيم يقول، إن هذا بفضل النفط وحده، وأقول بل هناك عقول وعضلات خليجية ساهمت في هذه النهضة والإدارة الناجحة هي التي تستغل الإمكانيات المتوفرة للبناء وهذا ما فعلته الولايات المتحدة حيث استفادت من نفطها وأنهارها وطقسها وغير ذلك. وما أقوله عن الخليج لا يعني عدم وجود انحرافات وسلبيات وتبذير ولكن الميزان العادل هو الذي يرى الإيجابيات كما يرى السلبيات أما بالنسبة لأحداث ١١ سبتمبر فليعلم أن الغالبية الساحقة من المسلمين يرفضونها والدليل أن علماء المسلمين في أفغانستان، وفي ظل حكم طالبان أعلنوا رفضهم وطالبوا بإبعاد أسامة بن لادن عن أفغانستان ومواقف الولايات المتحدة من العرب تستفز العقلاء من المسلمين فكيف بالمتطرفين ألم تقف الولايات المتحدة ضد مصر في حرب ١٩٧٣م مع أن مصر كانت تريد تحرير سيناء

من الاحتلال الإسرائيلي، ألم تمد إسرائيل بجسر جوي من الأسلحة وتهدد مصر حتى قال الرئيس أنور السادات علانية «لا أستطيع أن أحارب أمريكا» ألم تحتل الولايات المتحدة في ٢٠٠٣ العراق مع وجود معارضة علنية من الأمم المتحدة ضاربة عرض الحائط بالقانون الدولي وأدى احتلالها على الأقل إلى قتل مئة وخمسين ألف مدني عراقي وغير ذلك كثير وهذا العدد خمسين ضعف من قتل في أحداث سبتمبر، ولا أدرى لماذا لا يرى الأستاذ إبراهيم التخلف العلماني الذي أدى إلى حروب عالمية وغير عالمية، ويكفى أنه قتل في الحرب العالمية الثانية فقط أكثر من خمسين مليون إنسان وهذا أضعاف ما قتل بالحق وبالباطل من أديان صحيحة أو خاطئة خلال تاريخ البشر كله فأين التقدم والطريق ممتلئة بالدماء والاستعمار واستنزاف ثروات الشعوب والمؤامرات والسجون السرية وتعذيب المعتقلين واستخدام الأسلحة المحرمة والفسق والزندقة والإلحاد أما القول بأن «التقدم هو الاستثناء، والتخلف هو القاعدة» فهذا يتناقض مع « مسلمات » الفكر العلماني الذي يعتبر نفسه يتقدم فكريا ويطور الرأسمالية والليبرالية والعلمانية، وفي الحقيقة أنه يتخبط وينتقل من ضلال إلى آخر وكلما رأى سراب سعى إليه أما في العلوم المادية فالتقدم هو القاعدة بدليل تراكم الحقائق المادية والتراكم التقني الصناعي والتراكم الطبي والفيزيائي والكيميائي ..... إلخ هذا هو واقع العلم العالمي المادي فلا يوجد حتى استثناء والعلاقة بين البشر والعلم الفكري (الإسلام) هي علاقة واضحة منذ خلق الله سبحانه وتعالى آدم وحواء فمن اتبع هدى الله بصورة صحيحة تقدم ونال السعادة في الدنيا والآخرة وهذا ما فعله الأنبياء والصالحين ومن لم يتبع الهدى عصيانا أو جحودا شقى وتعس، وهناك خليط بين الطرفين وسيبقى الوضع كذلك حتى يرث الله سبحانه وتعالى الأرض ومن عليها «قضي الأمر الذي فيه تستفتيان»، وإن أخطر ما يوصل إليه كلام الأستاذ إبراهيم من حيث يدرى أو لا يدرى بث التشاؤم واليأس والإحباط في نفوس مستمعيه، لأن رأيه أن الصدمات الحضارية تنفع مع غيرنا ولم

تنفع معنا ونحن متخلفون بل ونصدر التخلف للعالم ونحن أمة فاشلة فما لدينا من إيجابيات يرجع للنفط والاستعمار وأن التقدم هو الاستثناء والتخلف هو القاعدة .... إلخ وقد قال قائد صيني «ليس النصر أن تهزم عدوك في حرب بل النصر أن تهزمه بدون حرب» أي تجعله يقتنع أنه ضعيف وفاشل فيستسلم لك حتى لو كانت عنده إمكانيات النصر وتتطلب الموضوعية أن نرى نقاط قوتنا والفرص المتاحة مثلما نرى نقاط ضعفنا والصعوبات، ومن إيجابياتنا وهي كثيرة أننا عقائدياً واجتماعياً أفضل مئة مرة من الغرب العلماني.

٧- لم يعطينا الأستاذ إبراهيم خطوط عريضة للتقدم ولا خارطة طريق فدخلنا وخرجنا من المحاضرة ولم نجد هداية ونور بل وجدنا التشاؤم وجلد الذات والانبهار بالغرب والجزئية والسطحية في فهم العلم والواقع ونحن يا أستاذ إبراهيم لا نريد جلسة فلسفية نمرن بها عقولنا على الجدل. وأقول له أن التقدم له ثلاثة أعمدة أولها: الإخلاص لله سبحانه وتعالى، وقد قال ابن المبارك « قل لمن ليس عنده الإخلاص لا تتعب» لأن من مزايا الإخلاص أن يجعل أعمالنا تهدف إلى رضا الله سبحانه وتعالى وهذا يجعلنا نسعى لتحقيق المصالح العامة والخاصة الحقيقية ويحقق التكامل بين مصالح أمتنا وشعوبنا وقبائلنا وأحزابنا وأسرنا وأفرادنا، فكلما زادت النوايا الحسنة (الإخلاص) وقلت النوايا الفاسدة كلما تقدمنا والعمود الثاني: زيادة رصيدنا من العلم الفكري (الإسلام) ومن العلوم المادية، والعمود الثالث: زيادة العمل فكلما زادت أعمالنا المفيدة في وظائفنا وحياتنا تقدمنا ومما يزيد رصيدنا في كل هذه الأمور ما يلي :

أ- المعاهد العلمية:

إنشاء معاهد علمية كثيرة ومتخصصة وكبيرة ومستقلة يعمل فيها أفضل المتخصصين وتقود التنمية الفكرية، والتنمية الاجتماعية، والتنمية الإدارية، والتنمية العلمية، وغير

ذلك، وتقدم الدراسات الكثيرة والمقترحات والتوصيات للحكومات والشعوب حتى يرون الحقائق النظرية والواقعية بصورة صحيحة وهذا موضوع تطرقت له في كتب مثل «تطوير البحث العلمي الخليجي» «ولا للأبحاث التطويرية » «والمشاريع البحثية مشاكل وحلول » وهي موجودة على شبكة الإنترنت .

ب- كنز التخطيط:

التخطيط هو رسم صورة المستقبل القريب والبعيد للدول والمؤسسات والأفراد وهو تجميع للعقول والمعلومات والأيدي في سفينة قوية لبناء مستقبل الدولة والوزارة والمؤسسة والشركة والأسرة والفرد وغير ذلك، وأمتنا متخلفة جداً في التخطيط وكثير من الخطط الموجودة إما ضعيفة أو وهمية فلنزيد من اهتمامنا بالتخطيط .

ج- التعاون:

من أهم عناصر النجاح هو التعاون فيما نتفق عليه وعندنا ثقافة التناقض وعشق التفرق وتجاهل مساحات كبيرة من المصالح والمنافع المشتركة بين المخلصين المختلفين سياسياً أو فكرياً وكثير من الأمور فيها مصالح للأغلبية، فكلما كان نظام التعليم متطوراً وممتعاً وإبداعياً استفدنا جميعاً وقل مثل ذلك عن أمور كثيرة فلنشجع التعاون والعمل الجماعي فهو كنز لم نكتشفه حتى الآن وإذا اقتنعنا بما قلت وانطلقنا ننفذ فسنوجه بإذن الله ضربة قوية للتخلف، ألا هل بلغت اللهم فاشهد .

من المخطئ في فهم العلمانية ؟

عيد بطاح الدويهيس

بدعة الدولة العلمانية

قالت الأخت العزيزة الدكتورة معصومة المبارك «إن مبدأ المساواة في الدولة الدينية لا يمكن تحقيقه لأن العقيدة تنطلق من مبدأ أفضلية المنتمين إلى هذه العقيدة عن غيرهم من المواطنين ومن ثم فإن العقيدة سواء كانت إسلامية أو مسيحية أو يهودية لا تؤمن بأن حقوق جميع المواطنين متساوية إذا اختلفت عقائدهم» وقالت «إن العقيدة تميز المنتمين إليها عن غيرهم ولنا في العبر التاريخية خير دليل ولنا في الممارسات المعاصرة ما يثبت هذه الحقائق» جريدة القبس ١٦ ديسمبر ٢٠٠٩ ما قالته الدكتورة معصومة أمر اختلف معها فيه ولي عليه ملاحظات كثيرة منها ما يلي :

١- الحياة ثم السياسة:

آن الأوان أن يبتعد أهل السياسة والمتخصصين فيها من أمثال الدكتورة معصومة عن المجالات العقائدية (الفكرية) فهي ليست مجال اختصاصهم والملف العقائدي هو الذي يحدد المعاني الصحيحة للتوحيد والكفر والعدل والمساواة والحرية ويحدد الحق من الباطل في كل الأمور الفكرية وكثيراً ما يتدخل في هذه الأمور السياسيين وهم لا يعرفون ما الذي أمرنا الله سبحانه وتعالى به وهل أمرنا بالمساواة المطلقة بين البشر؟ وهل أمرنا بإقامة الدولة الإسلامية؟ أم أن هذا الأمر هو اجتهاد بشري؟ وهذه الأسئلة يجاوب عليها علماء الإسلام قال تعالى ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾ (٤٣) سورة النحل، فلنفهم الحياة أولا فهي أكبر وأهم بكثير من السياسة.

٢- العلمانية كفر:

لو سألنا أهل الذكر لقالوا لنا إن العلمانية كفر، وعدم تطبيق الشريعة الإسلامية كفر، وهذا أمر اتفق عليه علماء السنة والشيعة والخوارج والمعتزلة، ويتفق عليه المسلمون من المغرب إلى إندونيسيا ومن جنوب روسيا إلى أواسط أفريقيا ولقال لنا

علماؤنا إن الإسلام هو الحق أي العلم أي النور أي المبادئ الصحيحة فلماذا يفصل عن الدولة والسياسة؟ إن معنى ذلك أن الدولة ستتبنى مبادئ الباطل أي الجهل والظلام والضياع. والظن أن الإسلام شيء والمبادئ الصحيحة هي شيء آخر هو تزوير للحقائق آن له أن ينكشف، فالعدل هو ما تقول عنه المبادئ الإسلامية أنه عدل وكذلك الأمر مع المساواة والحرية وإذا لم نطبق الشريعة الإسلامية فكيف سيكون نظام الحكم رأسمالي أو اشتراكي أو شيوعي أو عنصري أو خليط من كل هذا أو غير ذلك وأي شعبية لهذه الأنظمة عند المسلمين وهي كفر، وهل سيكون أي نظام منها قوياً وهو بلا قاعدة شعبية؟ إن مثل هذه الأنظمة ستكون عاجزة عن حماية أنفسها ناهيك عن قدرتها على الإصلاح .

٣- نحن مسلمين والحمد لله:

قالت الدكتورة معصومة بما معناه ناقشت المادة الثانية من الدستور الكويتي هل الكويت دولة دينية أم مدنية؟ وأقول الدستور الكويتي واضح جداً في أن دين الدولة الإسلام، أي فلسفتها ومنهجها ونظامها إسلامي فهذا هو التفسير اللغوي والشرعي لكلمة دين، وقال من كتبوا الدستور: لم نكتب أن الشريعة هي المصدر الرئيسي، وكتبنا أنها مصدر رئيسي لوجود بعض القوانين المخالفة للشريعة تتعلق بالمصارف، فهم نظروا للموضوع من ناحية قانونية بحتة وهذه النظرة خاطئة، لأن كون الشريعة هي المصدر الرئيسي للتشريع لا يمنع من باب الاضطرار من تطبيق قوانين معارضة لها مع بذل الجهد للتخلص منها بأسرع ما يمكن ولم ترد في الدستور كلمة «أن الدولة علمانية تفصل الدين عن الدولة» وإسلامية الكويت أمر لا يحتاج للنقاش أصلاً فهو محسوم شعبياً وحكومياً ونيابياً وتاريخياً وثقافياً ودستورياً فإذا كنا نريد أن نكون مسلمين فلا خيار لنا غير هذا، والحمد لله نحن مسلمون ونريد أن نبقى مسلمين، فأبعدونا هداكم الله عن صناعة مشاكل وهمية، ونقاشات حول بديهيات لا توجد فيها مشكلة إلا في عقول العلمانيين .

٤- الدولة الدينية:

التعريف العلماني للدولة الدينية أنها دولة يحكمها رجال الدين، ويتكلم هؤلاء بالنيابة عن الله سبحانه وتعالى ويقابلها عندهم دولة علمانية (لا دينية) وهي لا مرجعية فكرية لها، ويحدد ويصنع فلسفتها وقوانينها وأهدافها الشعب أو الملك أو الحزب الحاكم أو التصويت أو التوازنات، وإذا نظرنا بعيون إسلامية وجدنا أننا كمسلمين ضد الدولة الدينية، فلا توجد عندنا أصلاً طبقة لرجال الدين، والشعب هو الذي يختار حكامه ومن حقه عزلهم وهم يصيبون ويخطئون ولا يتكلمون بالنيابة عن الله سبحانه وتعالى، فالدولة الإسلامية دولة مدنية ذات مرجعية إسلامية والدولة العلمانية دولة مدنية ذات مرجعية فلسفية أو إلحادية أو خليط من هذا وغيره ولا توجد مؤسسة إسلامية تسيطر على الشعب أو الحاكم أو القضاة أو التشريع لا من علماء المسلمين أو غيرهم، فالسيطرة هي للمبادئ الإسلامية، وقالت الدكتورة معصومة «إن هناك أنظمة بين الدولة الدينية والدولة المدنية» وهي هنا تقرأ الفكر والسياسة من خلال عيون غربية ومن أنظمة تعليم أجنبية فهذه مشاكل أوروبية وضياع أوروبي وكلا الاختيارين خاطئ، ونحن نريد أن نعيش فكرنا وواقعنا، ولا نقلد أوربا وإذا كنا نريد أن نتبرأ من الدولة الإسلامية فلنتبرأ من عهد الرسول ﷺ وعهد الخلافة الراشدة بما فيها خلافة الإمام علي رضي الله عنه لأن الأخت معصومة شيعية، ولنتبرأ من الخلافة الأموية والعباسية والعثمانية وكل دولة إسلامية طبقت الشريعة الإسلامية وفي بلادنا الإسلامية لم يوجد عندنا صراع بين بابوات وحكام ولا بين علماء الإسلام وعلماء المادة ولا بين الشعب وعلماء الإسلام وهذا لا يعني أن العلمانية تصلح لأوربا بل لا تصلح لها أو لغيرها فأوربا وأمريكا يعيشون في ضياع وشقاء فأنقذوهم من العلمانية .

٥- الصدق والعلمانيون:

يطالب العلمانيون بدولة مدنية، وأقول قولها بصراحة نريد دولة علمانية فالمكر والخداع والكذب يقبل جزئياً في السياسة ولكن لا يقبل في مجال العقائد والمبادئ والدساتير والقوانين، لأنه خداع وتضليل للشعب خاصة بعد أن عرف العلمانيون أن العلمانية كلمة قبيحة ومرفوضة شعبياً وهل أفهم أن مطالبة العلمانيين العرب بدولة مدنية لا علمانية أنهم كفروا بالدولة العلمانية؟ وأقول باختصار مع ما تمر به الأمة من تفرق وضعف وفقر وفساد فإن العملاق الإسلامي بدأ يستيقظ في كل مكان ولن يمنعه بإذن الله كل شياطين الإنس وما لديهم من قوة ومكر ومال قال تعالى: ﴿والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ آية: ٢١ سورة يوسف، وقال تعالى: ﴿إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد﴾ آية: ٥١ سورة غافر، ومن المهم أن نسمي الأشياء بأسمائها فحقيقة الصراع بيننا وبين الغرب هو صراع بين الإسلام والحرية والاستقلال من جانب وبين العلمانية والاستبداد والاستعمار من جانب آخر وكل عاقل سيختار أن يكون مع الله ورسله والمؤمنين فلا يقبل الله غير ذلك .

٦- الأقليات والنظام الإسلامي:

علينا أن نفرق بين العقيدة الإسلامية ونظام الحكم الإسلامي فالوطن للجميع ولا إكراه في الدين ولا يوجد مواطنين درجة أولى ومواطنين درجة ثانية ونعم للمساواة والعدالة في التوظيف والترقيات والمناصب والعمل السياسي فالنظام الإسلامي يستوعب جميع المواطنين وأديانهم وطوائفهم وينصفهم بعيداً عن المثاليات والمزايدات ووجدنا في تاريخنا وواقعنا وزراء ومسئولين كبار غير مسلمين، فالمعادلة الصحيحة حكم الأغلبية وحقوق الأقلية وغير المسلمين لا يريدوا المساواة مع المسلمين في قوانين الزواج والإرث وغير ذلك بل حتى بعض الفرق الإسلامية لا تريد المساواة

الكاملة فبعض أحكام الزكاة تختلف عند الشيعة عنها في السنة، وهناك أمور يعاقب عليها المسلم ولا يعاقب غير المسلم كشرب الخمر ولا يستطيع شعب مسلم أن يقبل نظاماً علمانياً فهذا يتعارض مع عقيدته فهذا الموضوع لا يستحق النقاش ناهيك عن القبول ومطلوب رفض أي اجتهادات إسلامية متطرفة في التعامل مع الأقليات وعلى الأقليات ألا تتبنى العلمانية، لأن في هذا استفزاز للأغلبية وتصادم مع الديمقراطية وتعاون مع أعداء الأمة. ومادام المسلمون في أغلب الدول العربية هم ٩٠٪ من السكان أو أكثر فلا توجد مشكلة فكرية ولا حتى سياسية وعلينا أن نسعى لتحطيم المعوقات الحقيقية التي تمنع المساواة بين المواطنين من تعصب عرقي ومصالح وفساد واستبداد وغير ذلك، فهذه مسيطرة على أجزاء كبيرة من الواقع فتأثير التعصب العرقي في الانتخابات أقوى من تأثير كل المخلصين من مسلمين ومسيحيين وليبراليين وغيرهم.

٧- الاجتهاد الإسلامي:

الاجتهاد الإسلامي هو النص والعقل والواقع معاً ووصل الاجتهاد لمنع تطبيق بعض النصوص الإسلامية الواضحة لاعتبارات واقعية، ولو أخذنا قوانين الإسلام في الحرب وقارناها مع غيرها لوجدنا الرقي مجسداً فلا نقبل إلقاء قنابل ذرية على مدنيين، وليس هدفنا إذلال الناس والانتقام منهم كما تفعل وفعلت كثير من الدول العلمانية في حروبها العالمية وغير العالمية وقولوا بالله عليكم أي جزء من الإسلام لا يمكن تطبيقه هل هو الاقتصاد الإسلامي، أو الزكاة، أو الجهاد، أو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والمضحك أن الزندقة والإلحاد والفسق يمكن تطبيقهم من العلمانيين أما الإيمان والعفاف فلا يمكن تطبيقها وكثير من شئون الدنيا متروكة للناس وأمرهم شورى بينهم فهم من يقررون تفاصيل نظام الحكم الذي يناسب شعبهم وهم يقررون السياسة الداخلية والخارجية وكيفية توزيع الميزانيات وتحقيق التطوير الإداري

وكيفية تطوير التعليم، والبحث العلمي، وكيفية معالجة الفقر والأمراض والبطالة، ولسنا ضد الانفتاح ويدعو الإسلام للاستفادة مما نجح به الغرب من أدوات وأساليب وتجارب إنسانية فليس كل ما في الغرب شر وليس كل ما تقوله العلمانية خطأ فكثير من جوانب الحرية عندها صحيح وكثير من ديمقراطيتها صحيحة وقطعت شوطاً كبيراً في المساواة بين أبناء شعوبها، وقد يقول قائل: إن هناك اجتهادات إسلامية ترفض الديمقراطية والأحزاب، وأقول كل اجتهاد خاطئ مرفوض والالتزام مطلوب بالقرآن والسنة أما الاجتهادات فهي متروكة لقرار الشعوب .

٨- أي إسلام نريد:

يقول بعض العلمانيين إن الإسلام غامض فهناك فرق واجتهادات متناقضة وأقول أولاً: الفكر العلماني كله متناقض وغامض فلا يوجد اتفاق فيه إلا على نصف سطر أي فصل الدين عن الدولة أما غير ذلك فلا يوجد اتفاق عليه أبداً وضبابية الفكر العلماني وصلت لدرجة أنه لا يعرفه العلمانيون ناهيك عن غيرهم وثانياً: لا يوجد إسلام متطرف ولا إسلام أمريكي ولا إسلام اشتراكي ولا إسلام وراثي ولا يوجد إلا إسلام واحد ومرجعه هو القرآن والسنة ويعرفه المسلمون في شتى بقاع الأرض، وليس مقبول تصنيف المسلمين السنة إلى حنبلي وشافعي ومالكي وحنفي ووهابي وسلفي وإخواني وصوفي ومستقل، والدليل على ما أقول لو حاولت أن تصنف المسلمين حسب هذا التصنيف لن تستطيع، وبالتأكيد هناك اجتهادات فكرية وسياسية لدى المسلمين المعتدلين ولكنها اجتهادات مقبولة ولا تضر أبداً وحدة المسلمين ولا تفرقهم فالاختلاف الاجتهادي مقبول وصحي وطبيعي كما اختلف الصحابة والاتفاق الفكري بين السنة والشيعة وغيرهم كبير، فالإسلام يجمع المسلمين وما يفرقهم هو العصبيات العرقية والسياسية والجهل والأعداء والفساد قال الخليفة عمر بن عبدالعزيز رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إن هذه الأمة لم تختلف في دينها ولا في نبيها ولا في كتابها وإنما اختلفت في الدينار والدرهم» .

٩- الأفضلية العقائدية:

قالت الدكتورة معصومة «إن العقيدة تنطلق من مبدأ أفضلية المنتمين لهذه العقيدة على غيرهم من المواطنين» وأقول أولاً لنفرق بين العقيدة الإسلامية ونظام الحكم الإسلامي، فالمساواة هي الأساس في نظام الحكم وثانياً: لا شك أن هناك أفضلية للمؤمنين على الكافرين وللأتقياء على العصاة وللعلماء على الجهلاء وللإسلام على غيره فلا يتساوى الحق مع الباطل؛ فهذه مساواة ظالمة ولا تقبل العلمانية أن تعتبر نفسها متساوية مع غيرها من العقائد وهي على باطل فكيف بمن هو على حق والأفضلية الإسلامية مفتوحة للجميع وأساسها ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ (١٣) سورة الحجرات فهي ليست أفضلية عرق أو أمة أو شعب أو قبيلة أو مال أو سلطة أو نسب أو لون أو تاريخ وهي أفضلية تدعو أهلها للتواضع واللين والانشغال بعيوب النفس والالتزام بالعدل، وأتمنى أن نتعمق في فهم الأفضلية وهل ستعطي المسلمين امتيازات أكبر أم واجبات أكثر؟ وهل ستجعلهم ينظرون بدونية لغيرهم أم ستجعلهم يرون أنفسهم مقصرين مع الله سبحانه وتعالى؟ وإذا كان المقصود بالأفضلية أن هناك مناصب ستكون حكراً على المسلمين فهذا أمر تطبقه كل الأنظمة؛ أي من ليس عنده اقتناع بالنظام لا يكون في مناصب حساسة لابد من ضمانها لأمن النظام وهذه المناصب قليلة .

١٠- العقائد والأخلاق والسياسة:

تحاول العلمانية أن تفصل الدين عن الدولة ولكن هل هذا ممكن وهل العقائد سواء كانت دينية أو علمانية تنفصل عن الدولة إذن ما هي مبادئ السياسيين أم أن العلمانية تريدهم بلا مبادئ أو بمبادئ علمانية فقط أليس فصل الدين الصحيح عن السياسة معناه فصل العقائد الصحيحة والأخلاق الحسنة عن السياسة، إن ما تريد أن تحققه العلمانية هو توازن عقائد وهذا التوازن غير موجود إن كانت هناك

عقيدة مسيطرة للأغلبية كالمسلمين في الوطن العربي وهذا التوازن لا يقضي على الاختلافات العقائدية ولا يبعدها عن الحياة السياسية ولعل في حالة لبنان مثل واضح فهو يقول أنه دولة علمانية وهو في الحقيقة عبارة عن توازن ديني وطائفي وعرقي وسياسي وكثيراً ما يختل هذا التوازن فتحصل حروب عقائدية وسياسية؛ وتعالوا لنرى ما هي عقائد السياسيين العلمانيين وسنجد أن بعضهم مقتنع بعقائد باطلة عنصرية أو مصلحته الشخصية أولاً أو «الغاية تبرر الوسيلة» أو أن «الحكمة هي مسك العصا من الوسط» أو الخضوع للأقوى سواء كان حكومة أو شعب أو حزب أو كل فلسفته الجنس والمال وإذا كان لا يعرف الله سبحانه وتعالى فما الذي يردعه عن الانحرافات أليس رأس الحكمة مخافة الله؟ ألم يتجسس علمانيون كبار على منافسيهم؟! ألم يعلنوا حروب هدفها مصالح مادية والعلو في الأرض ومن لم يخلص لله سبحانه وتعالى؟! فإن احتمال إخلاصه للشعب أقل بكثير، لأن نعم الله علينا لا تقارن بما قدمه لنا آباؤنا وأمهاتنا ناهيك عن شعوبنا، إن استمرار كثير من المسلمين في إخلاصهم السياسي مرجعه أنهم يريدون الأجر من الله سبحانه وتعالى، فسيطرة المبادئ الإسلامية ليست سيطرة للفكر الواحد أو للجمود الفكري بل هو سيطرة للتوحيد والإيمان والحكمة ومحبة الله سبحانه وتعالى والفضيلة والنور على الكفر والإلحاد والحماقة والجحود والرذيلة والظلام، أليست هذه العقائد والأخلاق هي ما نريد أن تسيطر على أبنائنا؟ أليست هي الأفضل فلماذا يرفضها العلمانيون؟ وبالتأكيد إن الفاسدين هم من يصفقوا كثيراً للعلمانية، لأنهم يجدون في كثير من مبادئها وشعاراتها الغطاء الفكري لانحرافاتهم، فالفاسقون وجدوا من العلمانية الرأسمالية كل حماية مما جعلهم يعملون أكثر من أربعة ملايين موقع جنسي على الإنترنت وينتجون في الولايات المتحدة فلم جنسي كل ٣٩ دقيقة في حين أن العلمانية الشيوعية السوفيتية كانت تحارب الفسق لأنها رأت بعقلها وهذا حق أنه انحراف وجريمة، فالعلمانية هي التي تعطي الشرعية لكثير من الانحرافات التي تحرمها الأديان السماوية .

١١- سراب التشاؤم:

يقول بعض العلمانية إذا وصل الإسلاميون للحكم فسيضطهدون الناس ويقيدون حرياتهم ويتدخلون في حياتهم الشخصية، وأقول بل ستوجد حرية حقيقية وستفتح الأبواب للترفيه البري، ولن نتدخل في حريات الناس، ولن نكون مرعوبين من أي صوت معارض، لأن قاعدتنا الشعبية كبيرة وتأكدوا أن سوق النفاق ستضعف وعدد اللصوص سينخفض، ولن تحصل مؤامرات كثيرة للاستيلاء على السلطة، وستضعف أمراض التآمر والحرص على المناصب، ولن يحدث تعظيم وتقديس للحكام وهذه نقطة واضحة جداً، فالحاكم المسلم بعيد عن تمجيد نفسه وجعل الإعلام يمدح كفاءته ليلاً نهارا حتى يصدق هو أنه كذلك وهناك اتهام للإسلاميين «وفكرهم المتحجر» بأنه سبب تخلف الأمة العربية، وأقول اتقوا الله واسألوا السياسيين والتجار والعمال والموظفين والمدرسين... الخ هل ما يحطم طموحكم أو سبب الصعوبات التي تواجهونها هو الإسلام وأهله أم فساد الذمم والعصبيات العرقية والعادات السيئة والتآمر الأجنبي وغير ذلك ؟!

١٢- التاريخ المزور:

يظن كثير من العلمانيين أن نظام الحكم الإسلامي لم يستمر إلا ثلاثين عاماً في عهد الخلافة الراشدة ثم أصبح ملكاً ديكتاتورياً وراثياً ودموياً إلى يومنا هذا، وأقول المسلمين بل العالم كله يعتبر الخلافة العثمانية دولة ذات نظام حكم إسلامي ألا يكفي شهادة كل هؤلاء، ومن قال أن كل نظام حكم إسلامي يجب أن يكون بكفاءة نظام الخلافة الراشدة بل كل نظام يرتبط بالواقع وما في أهله من وعي وإخلاص واجتهاد فالخلافة العثمانية وغيرها لم تكن دول مرتدة، ووجود انحرافات وأخطاء بها أمر طبيعي؛ فلا مثالية عند الدول ولا الأفراد ولا الأحزاب ومئات الملايين من المسلمين كانوا يحبون الخلافة العثمانية وأمير شعراء العرب أحمد شوقي رحمه

الله تعالى والذي عاش في آخر أيامها، أي أيام ضعف كان في حالة عشق لها وهو المثقف الواعي فكرياً وسياسياً، فقد مدحها في كثير من شعره وما أكثر الإيجابيات والانتصارات والعدل في تاريخنا! وما أكثر السلبيات والانحرافات في واقع وتاريخ الدول العلمانية! أليس الاستعمار خلال الثلاثة قرون الماضية صناعة علمانية أدت إلى قتل الملايين وإلى اشتعال الحروب الكثيرة؟! ألم يقتل الأوروبيون العلمانيون في الولايات المتحدة الأمريكية أكثر من أربعة ملايين هندي أحمر ويأخذون أرضهم؟! ألم يقتل الأمريكيون أكثر من ثلاثة ملايين فيتنامي؟! ولازال العلمانيون كل يوم يزورون الواقع بما لهم من إعلام قوي؛ بل زوروا الفكر فادعوا أنهم أول من صنع الوطنية، وأوجد المواطن، وصنع المساواة وأول من شجع العلوم المادية، وأول من شاور وشارك الشعب، ولو قيل لي ما العلاقة بين العلمانية والتزوير لقلت وجهان لعملة واحدة، والغريب في المقارنات التي يجريها العلمانيون أنها تقارن سلبياتنا بإيجابيات الغرب، وهذه مقارنات ظالمة تخلط الفكر بالواقع بالتاريخ بالأفراد والانتقاء من ذلك بمزاجية فن أتقنه العلمانيون؛ في حين أن الأسلوب العلمي هو التفصيل؛ فليس كل ما في الولايات المتحدة صناعة علمانية بل الإيجابيات صنعها القطاع الخاص والأنظمة الإدارية المتطورة والتنافس بين الشركات الصناعية وغير ذلك؛ أما السلبيات فكثير منها ذات منبع علماني مثل الضياع العقائدي، وشرعية الاحتلال، والتعذيب وانتشار الفساد الأخلاقي، والتفكك الأسري .

١٣- اقرأوا تاريخ العلمانيين العرب:

الواقع كتاب كبير يجب أن يقرأه العلمانيون العرب بصورة صحيحة فما يطالبون به طبقه أسلافهم منذ بداية القرن العشرين، وفشلوا فشلاً ذريعاً ونبذتهم الشعوب، وكفرت بفكرهم وبهم؛ فالشعوب ليس عندها شك أن الغالبية الساحقة ممن رفعوا شعارات الحرية والعلمانية والمساواة والتحرر والديمقراطية استبدوا في الحكم

وتصارعوا بينهم واضطهدوا الشعوب ورفضوا الديمقراطية وعذبوا الأحرار وقتلوهم وسجنوهم، وأفقروا الناس، وسرقوا الكثير من المال بل حاربوا الشريعة الإسلامية والحجاب والصلاة، وعلماء المسلمين، والمسلمين الملتزمين، وحتى الأعمال الخيرية الإسلامية، وهذا أدى إلى ثورة الشعوب العربية وأصبح شعار «الشعب يريد إسقاط النظام» شعاراً عربياً إلى درجة أن بعض شعوبنا تستعين بأعداء الأمة لأنها في اعتقادها أرحم نسبياً، وكم من العلمانيين والمتأثرين بالعلمانية أعلنوا فشلهم أو اعتزلوا العمل السياسي وكفروا بكل ما قالوا أنهم آمنوا به؛ فالشيوعي أصبح رأسمالي، والرأسمالي أصبح عنصري، والقومي أصبح وطنياً عنصرياً، وانشغل أغلبهم بحياتهم الشخصية، ومصالحهم الشخصية؛ أي تحطمت أفكارهم ومعنوياتهم أيضاً، وأختلف مع الأخت الدكتورة معصومة عندما قالت: «إن العبر التاريخية والممارسات المعاصرة تثبت تميز أصحاب العقيدة عن غيرهم» فتاريخ المسلمين أو غيرهم بل الواقع المشاهد يجب أن يؤخذ من مصادر محايدة لا من بعض الأطراف التي تهدف إلى تشويه تاريخ المسلمين وواقعهم كما يفعل أعداء الأمة بأعلامهم ومفكريهم وكتبهم، إن هذا سيجعلنا نرى تاريخنا وواقعنا أسود، ولن نرى فشل العلمانيين العرب حتى لو كان عليه ألف دليل؛ لأنه لا يتم تسليط الأضواء عليه وليس لأنه غير موجود، وأطالب كل من هو مقتنع بالعلمانية أن يقابل كبار العلمانيين العرب، أو يقرأ مذكراتهم ليعرف وليقتنع أنهم فشلوا فشلاً ذريعاً بل قال أحد قادتهم «عجزنا عن بناء حزب قوي مع أننا حاولنا مدة أربعين سنة» وأقول عجزتم حتى عن بناء فرد واحد سعيد، وقد يقول علماني إن العلمانية ليست مسئولة عن الأنظمة العربية الفاسدة، وأقول بل مسئولة لأنهم طبقوا ما دعتهم العلمانية له بعدم حاجتهم إلى الدين وأهله بل أبعدوهم وهذا ما فعلوه وقالت لهم طبقوا ما تقتنع به عقولكم أنه يحقق العدل والمساواة والحرية وهذا ما فعله المخلصون منهم أما الفاسدون فلا يدخلون في حساباتنا.

١٤- الأسباب المادية:

يثبت الواقع أن الاتجاه الإسلامي هو أقوى بكثير من العلمانيين وأن له قاعدة فكرية قوية وقاعدة شعبية قوية والمقارنة بين حجم أعماله الخيرية مقارنة بالاتجاه العلماني تثبت أن كفاءته أكثر بألف مرة على الأقل؛ فلنخرج من عالم الكلام والصراخ، ولنقرأ الواقع، وسنرى الحقائق واضحة بإذن الله تعالى وسبب تخلف الأمة العربية هي كثرة الفاسدين، وأيضاً كثرة الجهلاء من المخلصين ممن لا يعرفون التخطيط ولا الإدارة الفعالة للأمور وليست لديهم برامج سياسية، ولا يهتمون بتطوير التعليم، ولا بعمل الدراسات والأبحاث، فكم يقرأ العرب كتاباً مفيداً في السنة؟ وكم مديراً وموظفاً يقرأ في كتب التخطيط والإدارة؟ وكم مهندس وعامل يقرأ في كتب الصناعة؟ وكم مزارع يقرأ في كتب الزراعة؟ وكم حكومة أو شعب يتحدث عن المتميزين ويشجعهم ويساندهم؟ إذن هناك أسباب لابد من الأخذ بها، فالسماء لا تمطر ذهباً ولا فضة، وأمرنا الله تعالى بأن نأخذ بالأسباب المادية، ومن أهمها: رفع المعنويات، وحل الاختلافات الفكرية والسياسية والعرقية، ووضع الخطط الصحيحة في مختلف المجالات، وتشجيع العمل الجماعي بكل الوسائل، وهذه الأسباب هي التي جعلت الغرب والشرق يتقدمون في كثير من المجالات، وأنا شخصياً متخصص في مجال التخطيط، ومجال سياسة العلم والتقنية، ولي كتب في هذه المواضيع، فأرجوا أن تقرأوها حتى تقتنعوا بأن ما يقوله العلمانيون أن الإسلام سبب تخلفنا هو أوهام وخرافات.

القاعدة الفكرية للحرامية

لو تكلمت ليلاً ونهاراً في نقد العلمانية لظن الكثيرون أنني أبالغ في ذمها أو عندي معها ثأر وحقيقة الأمر أن خطرها وفسادها عظيم؛ فالطغاة واللصوص والمجرمين بكافة أشكالهم لم يفعلوا ما فعلوا؛ لأنهم يريدون رضى الله سبحانه وتعالى، ويريدون أن يسيروا على الصراط المستقيم؛ بل لأن عقولهم «العلمانية» أقنعتهم أن مصلحتهم هي في الظلم والسرقة والإجرام والكذب والمكر والنفاق واتباع الشهوات وغير ذلك، وما أقوله يثبته الواقع، فقد ظهر للقريب والبعيد والشعب التركي أن الحكومات والأحزاب العلمانية تفشى فيهم الفساد المالي، وخيانة الأمانة مما أدى إلى تدمير الاقتصاد والسياسة، وتم انتخاب الإسلاميون لأن الناس رأوا بأعينهم أمانتهم وصدقهم وإخلاصهم ووطنيتهم، وكان النظام التونسي يجاهر بعلمانيته ويدعو لتجفيف منابع الدين، وكان نظاماً شديد الاستبداد فلا حرية رأي ولا ديمقراطية ولا حرية عقيدة، وكان يحارب الحجاب، ويضطهد الملتزمين دينياً، أما النظام المصري فلم يجاهر بعلمانيته، ولكنه كان يطبق أجزاء كبيرة منها وكان عدائه للشريعة الإسلامية والإسلاميين واضح ولم يكن ديمقراطياً، وعاش على تزوير الانتخابات، وتفشي الفساد المالي في كثير من المسئولين فيه؛ مما أضر أشد الضرر بالشعب المصري، وكانت المبادئ العلمانية واضحة جداً في الحياة العامة والشخصية لكل هؤلاء الفاسدين؛ فأين الجنة العلمانية الموعودة؟! إن العقلية العلمانية أقنعتهم أن سعادتهم وأمنهم هو في تقوية الأجهزة الأمنية، وفي اضطهاد المعارضين، وظنوا أن المكر السياسي سينفعهم وإن الكذب الإعلامي ذكاء ونجاح، واعتقدوا أن تجسسهم وشراءهم الذمم وإرهابهم الناس سيجعلهم آمنين بل سيورثون الحكم لأبنائهم وأقاربهم، ولو كان هؤلاء يؤمنون بالحقائق الإسلامية لآمنوا بقوله تعالى: ﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون﴾ آية: (٨٢) سورة الأنعام، وبقوله تعالى: ﴿قل اللهم مالك

الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيءٍ قدير﴾ آية: (٢٦) سورة آل عمران، ولعلموا أن محبة الناس الصادقة والحقيقية تتحقق بالإيمان والأعمال الصالحة قال تعالى: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا﴾ آية: (٩٦) سورة مريم، وحاول هؤلاء الظلمة بالأموال والمناصب أن يكسبوا مؤيدين؛ ولكن هذا الأسلوب لا يجمع حولهم إلا المنافقين وأصحاب المصالح والتافهين وهؤلاء ليسوا قوة، كما أنهم لا ينصحونهم ولا ينصرونهم إذا جد الجد، ويتوقع هؤلاء الفاسدون الخيانة والتآمر ممن يحيطون بهم وبالتأكيد إن فصلهم الدين عن الدولة أبعد عنهم المسلمين المخلصين الواعين؛ أي أهل الصدق والعمل والإخلاص والأمانة، وهذا الفصل أدى إلى انهيار شعبيتهم؛ فالناس يعرفون الكثير وكيف يمكن الثقة بالعلماني الزنديق والملحد والفاسق وهم أعلنوا العصيان والتمرد على الله سبحانه وتعالى، وهو صاحب الفضل والنعم الكثيرة عليهم، هل تتوقع من هؤلاء أمانة ووفاء وولاء لشعب أو حزب أو حاكم؟! وإن وجد منهم من عنده أمانة وولاء فهم قلة، والمضحك أنه عندما تثور الشعوب على هذه الأنظمة العلمانية وشبه العلمانية يبدأون في تقديم التنازلات بل، والتكلم عن طاعة ولي الأمر من ناحية إسلامية وتكون هذه التنازلات في الغالب ليست ذات نفع فقد جاء أمر الله من حيث لا يحتسبوا قال رسول الله ﷺ «إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته» وأين هؤلاء من أمثلة كثيرة حذرنا الله أن نكون مثلهم كفرعون وقارون وغيرهم، ومن جهلهم لا يعلمون أن الله مطلع على كل صغيرة وكبيرة، وأن كل الدول العظمى لا تستطيع أن تحمي أحداً من عقاب الله تعالى قال تعالى: ﴿وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون﴾ آية: (٢٢٧) سورة الشعراء، وقال تعالى ﴿ هَذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿سورة الجاثية آية: (٢٩) فصاحب الإيمان يحاسب نفسه على الدينار وهؤلاء يسرقون بالملايين، وصاحب الإيمان يخاف أن يظلم ضعيف بل أي حيوان، وهؤلاء يتجرؤون على دماء الناس، ويظنون أنهم أقوى

وأنه لن يصيبهم أي عقاب، لأنهم يعتقدون أن الناس أضعف منهم ولو عرفوا بعض جنود ربك وأنه أقرب إليهم من حبل الوريد لعرفوا ضعفهم وارتدعوا عن الظلم، وتقرب الفاسدون للغرب ليس فقط من خلال محاربة الإرهاب، بل محاربة الإسلام نفسه، ولم ينفعهم الدعم السياسي والمالي الغربي بل إن الغرب أول من يستبدلهم بغيرهم إذا كان البديل يحقق مصالحهم فحتى صفة الوفاء غير موجودة فما أقبحها من علاقة ذليل بأسياده! ومن الأوهام التي يثيرها العلمانيون هو إيهام الناس بأن الدول العربية خاضعة لسلطة علماء الإسلام أو الإسلام في حين أن الأنظمة الفاسدة هي المسيطرة على الساحة السياسية والمال إلى درجة أن في بعض دولنا ممنوع أي تجمع لأكثر من خمسة؛ فهي التي تخنق الحرية والأحرار أياً كانت عقائدهم بل تخنق الشعب كله فلنفهم الواقع السياسي ومن يفسده؛ لأن القوى الفاسدة تحاول تشويه الإسلام بكل الطرق والغريب أنهم يخافون من القوى العظمى ومن قوة شعوبهم، ولكنهم لا يخافون من الله المطلع على كل صغيرة وكبيرة وعذابه أشد العذاب قال تعالى﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٤٩) وَ أَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمَ﴾ سورة الحجر آية: ٥٠-٥١ .

وحارب هؤلاء العلمانيون الفاسدون الإسلام بكل طريقة؛ فالجيش والشرطة لا يتوظف فيهما أي متدين وإذا تدين بعد ذلك يفصل في بعض هذه الدول؛ فالمعروف عندهم منكر والمنكر معروف بل إن المتدين قد لا يجد في بعض هذه الدول حتى وظيفة مدنية، ومن مكرهم أن إحدى الدول كانت قبل أن ترقي قاضي تتأكد من شربه للخمر؛ أي إذا أثبت أنه بعيد عن الدين فهو من المقربين قال تعالى: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ آية: (٣٠) سورة الأنفال، وكم من أنظمة حاربت الله سبحانه وتعالى خلال هذا القرن، فدمرها وأذل حكامها ومسئوليها فقتلوا أو سجنوا أو طردوا؟! وقبل أن يحدث ذلك عاشوا في مناصبهم حياة تعيسة وتافهة وقلقة وهنا أقول للعلمانيين بالله عليكم اقرأوا الواقع الذي أمام أعينكم إن كنتم تعقلون، ألا

تشاهدون فروق كبيرة بين الأسرة المتمسكة بالإسلام بصورة صحيحة وبين من هم بعيدون عن الله سبحانه وتعالى ويفصلونه عن حياتهم فروقاً في الاحترام والألفاظ المستخدمة والانحرافات الأخلاقية والبر والتعاون والصدق والغيبة وغير ذلك، إن أي بحث علمي ميداني سيعطيكم أدلة قاطعة على وجود فوارق بين الأسرة والحكومات والأصدقاء والأفراد الملتزمين وغير الملتزمين فلا يخدعنكم الإعلام الكاذب والنظر من بعيد وغبار الشبهات قال تعالى ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاء مَّحْيَاهُم وَمَمَاتُهُمْ سَاء مَا يَحْكُمُونَ﴾ سورة الجاثية آية: ٢١ .

المسلمون والسياسة

هناك مواضيع هامة تحتاج أن تسلط عليها الأضواء، وأن يتم وضع النقاط على الحروف؛ لأن فيها الكثير من سوء الفهم مما أدى إلى ارتكاب أخطاء وانحرافات، ومن هذه المواضيع ما يلي :

١- العلماء ليسوا سياسيين:

نعم علماء الإسلام ليسوا سياسيين فهم أهل العلم الفكري؛ أي العقائد والمبادئ فعليهم أن يتكلموا في حدود اختصاصهم، ومن يريد أن يكون سياسياً منهم فليتفقه في السياسة وعلومها وليعايش واقعها، وبالتأكيد أن الإسلام دين ودولة وهو دين دنيوي وأخروي ولكن لكل فئة اختصاصاتهم، فنحن لا نقبل أن يصدر السياسيون فتاوى شرعية، لأن هذا ليس مجال اختصاصهم، وإذا كانت هناك مجالات مشتركة أي جوانب من السياسة فيها جوانب فكرية فليجتمع العلماء مع السياسيين في اجتهاد مشترك، وعلى سبيل المثال وجدنا بعض علماء اليمن في سبتمبر ٢٠١١ يجتمعون ويعلنون تأييدهم للرئيس على عبدالله صالح، ويصفون من يعارضونه بالخارجون على مبادئ الإسلام والتي منها: طاعة الحاكم وغير ذلك ووجدنا قبل هذا الموقف وبعده من علماء اليمن من يطالب بإسقاط الرئيس؛ لأنه انحرف عن العقد الذي بينه وبين الشعب فلا طاعة له، وأن من حق الشعب الذي اختاره أن يعزله وهذا مبدأ إسلامي أيضا، وأقول يتطلب الوصول للحكم الإسلامي الصحيح أولاً فهم المبادئ السياسية الإسلامية، وثانيا: معرفة بحقائق الواقع اليمني، والمصالح والمفاسد التي تحقق من بقاء أو عزل الرئيس ومن أهم القضايا: هي معرفة رأى أغلبية الشعب اليمني من خلال تمثيل حقيقي لهم، ولا أعتقد أن العلماء الذين أيدوا أو عارضوا أتيح لهم ذلك وليس القرار هو قرار العلماء في النهاية؛ بل قرار الشعب ولنتذكر أن الفاسدين من

الحكام، والمعارضين يحاولون استغلال الدين أو الوطن لتحقيق مصالحهم الشخصية، والأهم من ذلك أن علينا أن نجتهد في وضع أنظمة سياسية، وقوانين تقوي الجبهة السياسية، وتمنع دخول الفاسدين والأعداء والضعفاء لها .

٢- ضعف كفاءة الإسلاميين:

أعترف وأعلن أن كفاءة كثير من الإسلاميين ضعيفة، وأن الإخلاص والعلم الشرعي لا يكفيان لبناء القوة، فلابد من إضافة عناصر أخرى للقوة من عناصر مادية وعقلية فلا قوة بدون تخطيط، ولا قوة بدون أنظمة إدارية فعالة، ولا قوة بدون علاج الفقر والبطالة والتفرق، والتخلف الزراعي والصناعي، وهناك سنن لابد من الأخذ بها وقد أمرنا الله تعالى بها فلابد من وجود معاهد للدراسات والأبحاث، فلا اجتهادات سياسية أو اجتماعية أو زراعية أو اقتصادية أو صناعية أو تعليمية أو إدارية أو غير ذلك بلا دراسات كثيرة وكبيرة وعميقة ونجد مثل هذه الأمور شبه غائبة عن الأحزاب والجماعات الإسلامية بل عن الأغلبية الساحقة من المسلمين ولا نجدهم حريصين على بناء كوادر شعبية في هذه المجالات، ولابد أن يتفاعل الإسلاميون مع واقع شعوبهم ويقدمون الحلول للمشاكل وينفذون ما يستطيعون منها، ونريد أن تقتنع شعوبنا أن الإسلاميين هم أكثر الناس اجتهادا في أعمالهم وأمانة وحكمة ولين وتسامح وعدل وهذه الأمور لن تتحقق إلا بوجود برامج وخطط واضحة وبعيدة عن العموميات والغموض والمزايدات، ومطلوب أن يشارك في إعداد هذه الخطط من هم خارج الإسلاميين من المتخصصين من ذوي الخبرة ولا نريد خطط أو برامج تجامل الاتجاه السائد للمزاج الشعبي بل أن تقول الحق حتى ولو كان مُراً وتدور مع الحق حيث دار فلا تجامل حكومة أو قبيلة أو طبقة أو غير ذلك، وما أقوله لا يتعارض مع الواقعية والتدرج ولكن هناك فرق بين الواقعية وبين السكوت عن الحق .

٣- علوم هامة ومنبوذة:

يفصل بعض الإسلاميين الإسلام عن الدولة والسياسة بل الحياة لأنهم يجعلونه فكر نظري وعبادات ويعتبرون كل علم في التخطيط أو الإدارة أو الصناعة أو الزراعة أو التجارة أو السياحة أو غير ذلك علوم غير مهمة كأن لا أجر لمن يتعلمها مع أن تأثيرها كبير جدا على قوة المسلمين، بل قد يعتبرون هذه الأمور من العلوم التي لا يحتاجها المسلمون، فالإسلام عندهم رهبانية وزهد وعبادة وترك الدنيا وذمها وتجدهم لا رأي لهم ولا تصور فيما يقدم من خطط للدولة أو فيما يقترح من حلول للإصلاح الإداري؛ لأنهم يفتقدون الحد الأدنى من المعرفة في هذه العلوم، وكثير ما حرصت شخصياً على تشجيع الشباب على التخصص بالتخطيط وتطوير البحث العلمي والاقتصاد فهذه علوم نحتاجها بشدة وزاد الطين بله أن اهتمام بعض طلبة العلم الفكري بقضايا هامشية جداً مثل تحقيق كتاب قديم أو التوسع في جزئية في علم الحديث، أو الكتابة عن سيرة شخصية إسلامية، أما واجبات الشورى وكيف نحارب التعصب العرقي؟ وما هي حقوق الشعب؟ ولماذا يختلف ويتفرق المسلمون؟ وكيف نحارب الاستبداد ؟ فهي أمور يتم تجاهلها عند الكثيرين .

٤- أولويات العمل الإسلامي:

كل الطواغيت العلمانية من رأسمالية وشيوعية ونازية استغلت ضعف وغياب المبادئ الإسلامية فدمروا وقتلوا وأفسدوا وظلموا واستعمروا وعذبوا فستالين قتل الملايين وأكثر من ذلك فعل ويفعل الاستعمار الغربي الرأسمالي بصورة مباشرة وغير مباشرة، ومن واجب المسلمين تحطيم الأصنام العلمانية بمهاجمة الفكر العلماني في عقر داره من خلال الحوار مع المخلصين، وأن يكون من أولوياتهم نشر السلم والتسامح ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق؛ فلا لقتل الناس وتعذيبهم، ولا لسرقة ثروات الشعوب، وتأكدوا أن كل طاغية في العالم مهما كانت عقائده سيتردد كثيرا

إذا نشر المسلمون مبدأ لا طاعة لحاكم أو وزير في معصية الخالق، وعرفت شعوب الأرض هذا المبدأ فلا للطاعة العمياء في الحكومات أو الجيوش أو الشرطة أو المخابرات، وكم عندنا من مبادئ وحكايات ونماذج راقية جدا يجهلها العالم بل كثير من المسلمين؟! ومن واجبنا أن نوصلها للبشر وبأسرع ما يمكن إنها نماذج راقية جدا في العدل والرحمة والتواضع والزهد والتضحية والشجاعة والورع وبر الوالدين قال أحد أصحاب ابن تيمية: «ليتني أعامل أصحابي كما يعامل ابن تيمية خصومه» أي يعاملهم باللين والمعروف والحب والكرم، وتذكروا دائما أن العالم يجهلنا ويجهلنا ويجهلنا، وأن من أهم واجباتنا أن نجعله يعرف مبادئنا، فنشر الإسلام وإبلاغه يجب أن يكون عملاً كبيراً ومستمراً للعدو والصديق .

الديمقراطية الإسلامية

ليس الاستبداد هو العدو الوحيد للديمقراطية، بل من أهم أعدائها إسلاميون يعتقدون أنها كفر وقد فندت رأيهم في مقالات سابقة، ومن أهم أعدائها بعض العلمانيين فهؤلاء يفهمونها خطأ وذلك للأسباب التالية :

١- يعتبر هؤلاء العلمانيون أن الديمقراطية صناعة غربية علمانية، وأنها لم توجد في تاريخ البشر إلا في العصر الحديث وعند اليونانيين في الماضي، وهذا ليس بصحيح إطلاقاً؛ فمبدأ أن يتشاور القوم ثم يتخذون بالأغلبية قرارهم سواء فيما يتعلق بأمورهم الداخلية أو بموقفهم من الآخرين؛ هذا المبدأ موجود بصور مختلفة فزعيم كثير من القبائل يشاور «ممثلين» عن القبيلة وأحياناً كل القبيلة؛ وذلك لأنه يريد «الحكمة» ويريد «القبول» أي التنفيذ و يحدث التشاور في كثير من الجيوش سواء في الخطط العسكرية أو غير ذلك وطبعاً لم يكن ممكناً قديماً عمل انتخابات كما يحدث في العصر الحديث ففكرة الديمقراطية موجودة ومطبقة ولكن ما زاد في العصر الحديث هو تطور أدوات الوصول لرأي الأغلبية إذا كان الأمر يتعلق بالشعب.

٢- ليس كل الأمور في الدول الديمقراطية يؤخذ فيها رأي الشعب أو ممثليه ولا حتى نصفها إن لم يكن أقل؛ فالسياسة الأمريكية «السرية» لا يعرفها كثير من نواب الشعب ولا يعرفها إلا أفراد محددين: كالرئيس، ووزير الخارجية، ووزير الدفاع، وغيرهم. وكثير من الأمور من صلاحيات الوزير أو الوكيل أو المدير؛ أي هي قرارات وليست قوانين، وفي ظل التناقض العلماني في الآراء فما يقوله ممثلين الشعب ليس هو رأي الشعب؛ لأن للشعب آراء كثيرة فيكتفون من الممثل أن يكون قوياً وأميناً وليس «يمثل» رأيهم أي هو يمثلهم وليس يمثل رأيهم ويقول الواقع ليس كل أفراد

الشعب واعين سياسياً وقانونياً واقتصادياً ولا يتم اختيار ممثلين الشعب بناءً على العلم والأمانة فقط؛ بل تؤثر العصبيات العرقية، والحزبية والمصالح الشخصية، وسلاح الإعلام، وغير ذلك في عملية الاختيار؛ وهذا يعني أن علينا ألا نبالغ كثيرا في فوائد الانتخابات، وتذكروا دائماً أن الديمقراطية تحتكم للأغلبية وليس للمبادئ الصحيحة، أو كبار المتخصصين والحكماء .

٣- تعني الديمقراطية حكم الأغلبية وحقوق الأقلية في حرية الرأي، وهذا هو جوهر الديمقراطية ولكن يصر بعض العلمانيين على اعتبار العلمانية جزء لا يتجزأ من الديمقراطية أو العكس مع أن تعريف العلمانية هو اللادينية أو فصل الدين عن الدولة أو ليتبع كل فرد عقله؛ أي هي أمر مختلف تماماً؛ أي إذا كان عندنا بلد يأخذ كل أموره بناءً على رأي الأغلبية وفيه حرية رأي هل نقول عنه أنه ليس ديمقراطي إذا كان لا يفصل الدين عن الدولة وسيؤدي دمج الديمقراطية بالعلمانية إلى رفض العرب والمسلمين للديمقراطية؛ لأن فيها جزء فاسد وكفر صريح هو العلمانية .

٤- إذا جمعنا كل أمة العرب وأعطينا كل واحد منهم جهاز حاسب آلي وقلنا سنتبع ما تقرره أغلبيتكم، هل تريدون نظام حكم إسلامي، أو نظام حكم علماني فسيصوت ٩٠٪ منهم للنظام الإسلامي، إذن أغلبية العرب أعلنوا قبولهم لمبادئ فكرية كثيرة عندما اختاروا الإسلام، وهذه قمة الديمقراطية؛ في حين أن الديمقراطية العلمانية لا تعطي الشعب حق تقرير مبادئه؛ بل لا يعرفون مبادئهم حتى يختارون ممثليهم وممثليهم هم من يختارون مبادئهم القانونية .

٥- مشكلة العلمانيين العرب أو على الأقل الواعين منهم أنهم يعلمون أن لا شعبية حقيقية لهم وأن أي انتخابات حقيقية ستفضحهم وتجعلهم يبدون أقلية صغيرة لا وزن لها ولهذا ترفض الأنظمة العلمانية العربية أو المتأثرة بالعلمانية أي انتخابات حقيقية وكذلك يحرص أعداء الأمة على تدمير الديمقراطية؛ لأنها ليست في صالحهم؛ لأن

مصالحهم تتطلب حكومات علمانية ضعيفة تخضع لهم وهذا ما أثبتته ثورات الربيع العربي .

٦- هناك إجتهادان إسلاميان أحدهما يرى أن الشورى غير ملزمة للحاكم والحكومة، والآخر يرى أنها ملزمة؛ أي اجتهادهم قريب من النموذج الديمقراطي وهذا ما أعتقد أنه الأصوب وإذا كان هناك نفور من الديمقراطية فلنسمى عملية التشاور الشعبي «الشورى الملزمة» ولنوجد لها قنوات فعالة تحقق التعاون بين فئات الشعب لا الصراعات ولنوجد هذه الشورى الملزمة أو قريباً منها حتى في الوزارات والمؤسسات والشركات والمنظمات المدنية وغير ذلك. أليس من صالح المخلصين من العلمانيين تحقيق ذلك حتى لو كان أقل من طموحهم؟! أليس هذا من الواقعية أليس تطور حقيقي أن يتم بناء أنظمة كثيرة للشورى في أمتنا؟!

من المخطئ في فهم العلمانية ؟

عيد بطاح الدويهيس

المسيحية والعلمانية

كثيراً ما نمر مرور الكرام على اتهامات العلمانية للمسيحية وبقية الأديان السماوية بأنها منبع التعصب، وأنها تفسد الدولة والسياسة، وأنها ضد العلم والعدل والمساواة فيصدقها البعض مع أنها اتهامات باطلة وإليكم الأدلة :

١- بهتان عظيم:

المسيحية والإسلام في نسختهما الأصلية رسالتان من الله سبحانه وتعالى لبني آدم حملهما عيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهما فهل من المعقول أن يأمر الله سبحانه وتعالى بما يفسد حياة الدول والأفراد سواء في مجال العقائد أو السياسة أو القوانين لا أقول إلا سبحانك هذا بهتان عظيم، ومن البديهي أن ما يأمرنا الله سبحانه وتعالى أفضل مما ستنتجه العقول البشرية من مبادئ وقوانين، فهل يؤمن العلمانيون أولا يؤمنوا بذلك أريد إجابة محددة ؟

٢- أديان خاطئة:

من البديهيات أن الأديان السماوية الأصلية تكونت بجانبها طوائف زادت أو أنقصت أو شوهت بعض المفاهيم الأساسية للأديان السماوية، ففي كل دين فرق وطوائف واجتهادات مخالفة للدين الصحيح وكلها تنتسب ظاهرياً للدين الصحيح؛ فهناك طوائف مسيحية تحاربت فيما بينها وكفر بعضها بعضا، والخوارج فرقة إسلامية لكنها بعيدة عن الإسلام، فقد قاتلت الصحابة وكفرتهم، وهناك اجتهادات خاطئة تنسب أيضاً للدين الصحيح وهو برئ منها، فهل من العدل أن نرفض الدين الصحيح؟! لأن هناك من ينتسبون له أفسدوا في الأرض أولهم اجتهادات خاطئة .

٣- الكيل بمكيالين:

تحمل العلمانية الأديان السماوية الانحرافات التي تحدث من البشر حتى لو كانوا ينتسبون زوراً وبهتاناً واسمياً للأديان السماوية ولا تقول أنها نتيجة فساد منهم، أو سوء فهم للدين، وفي المقابل تتبرأ من كل انحراف تقوم به الدول العلمانية والعلمانيين حتى لو كان أصحابه صادقين ويطبقون العلمانية بصورة صحيحة، ولو تعمقنا في كثير من الانحرافات لوجدناها بسبب الفكر العلماني: كالضياع العقائدي، والتفكك الأسري، وانتشار الفساد الأخلاقي. وإذا كانت المقارنة مطلوبة فبإمكاننا الاقتناع بسهولة أن الحروب التي تمت باسم الدين الصحيح هي أقل عدداً وضحايا، وكانت لها نتائج إيجابية كبيرة، أما تلك الحروب التي أشعلتها العلمانية خلال الأربعة قرون الماضية، فكانت أهدافها مادية أو تافهة ومنذ ١٩٤٥ فقط وحتى الآن حدثت أكثر من مائة وعشرين حرباً غالبيتها الساحقة من دول ذات أنظمة علمانية، وما أشبه الأمر بتسليط الأضواء الإعلامية على حوادث الطيران مع أن قتلى حوادث السيارات أكثر بكثير، ولو قرأنا الواقع والتاريخ بعيون مفتوحة سنجد يومياً تزوير إعلامي علماني للحقائق فاحتلال الدول يعتبر حرب دفاعية، ودعم أنظمة استبدادية يعتبر دعماً للاستقرار والأمن وغير ذلك كثير؛ إن الدول العلمانية طورت كثيراً جداً من فنون الكذب والخداع والمكر والتزوير بهدف خداع العالم وخداع شعوبهم أيضاً .

٤- المسيحية والعلم المادي:

أي قارئ للكتب السماوية يعلم أنها كتب فكرية مواضيعها العقائد والأخلاق والشرائع وليس مجالها العلوم المادية: كالهندسة والكيمياء والطب والفلك وأخطأ بعض رجال الكنيسة في فهم بعض الدين وتصادموا مع بعض علماء المادة، ومثل هذا الانحراف محدود التأثير ولكن نجح العلمانيون في تكبيره آلاف المرات كأن هناك صراع بين كل رجال الكنيسة بل والمسيحية وبين كل رجال العلم المادي والعلوم المادية

واستغلوا ذلك ليرفضوا المسيحية في جوانبها العقائدية والتشريعية والأخلاقية التي لم توجد مشكلة في قبولها وتطبيقها ورفضوا أيضاً الإسلام قبل أن يعرفوه فهم فصلوا كل «دين» عن الدولة .

٥- مصادر علمانية:

قراءة العلاقة بين الدين الصحيح والدولة بعيون علمانية سيؤدي إلى التشويه وقراءة تاريخ أوربا من مصادر علمانية سيؤدي إلى التزوير، وليس مطلوب أن نتعمق في تاريخ وعقائد الصين أو أندونيسيا أو الهند أو أفريقيا، بل المهم هو معرفة من على حق؟ ومن على باطل من الأديان والمبادئ العلمانية؟ أي أين العلم الفكري والنور والصراط المستقيم والهداية؟ وأين الجهل الفكري والظلام والضياع والضلال ؟

من المخطئ في فهم العلمانية ؟

عيد بطاح الدويهيس

المكر العلماني

اقترح جاداً أن تعطى جائزة نوبل للعلمانية في مجال التزوير والغش والكذب، فقد أنجزت بجدارة أكبر وأبشع عملية تزوير فكري في تاريخ البشر؛ لأنها خدعت مليارات من بني آدم لعدة قرون وإليكم الأدلة :

١- ما معنى العلمانية؟:

معنى العلمانية هو فصل الدين عن الدولة أي اللادينية أي الاتجاه المعاكس للدين ولكن هذا المعنى يتم تزويره فيقال أحياناً معنى العلمانية العلمية أو الأسلوب العلمي أو اتباع العقل أو الديمقراطية أو الحضارة أو التقدم العلمي المادي أو الحرية أو غير ذلك، والتخفي بمعاني ليست لها، أضل الكثيرين من أول خطوة فكل كلمة من هذه الكلمات لها معانيها؛ فأنت بإمكانك أن تكون ديمقراطي ولست علماني؛ وتكون عالماً تتبع الأسلوب العلمي المادي أو الفكري أو كليهما بدون أن تكون علماني فتعريف العلمانية بصورة صحيحة تجعلنا نفهم معناها وفكرها بصورة واضحة وسيبدو حينئذ كم هو قبيح .

٢- تشويه علماء الإسلام:

يظن العلمانيون أننا عندما نطلق مصطلح علماء على رجال الدين المسلمين فهو من باب المجاز فهم يظنون أن العلماء هم فقط علماء الفيزياء والطب والأحياء.. الخ وأن هؤلاء وحدهم هم من نفعوا البشر فطوروا الصناعة والزراعة والاتصالات... الخ وأقول علماؤنا هم علماء العلم الفكري؛ أي يعرفون صفات الله سبحانه وتعالى ولماذا خلقنا؟ وكيف تنظم حياتنا الشخصية والأسرية والعامة؟ وعندهم أسس العدل والسياسة والاقتصاد والحرية والمساواة وغير ذلك، وهذه الأمور أهم لحياة الفرد والشعب من الماديات، والعلوم المادية وطبعاً ليس كل متخصص بالإسلام هو عالم؛

بل العلماء قلة نادرة وكم من ضال أرشدوه؟! وكم من أسرة تعيسة نصحوها بالحق فاستجابت وسعدت؟! وكم من بخيل شجعوه على الصدقات وكم وكم وفي المقابل لا يوجد عند المتخصصين من العلمانيين علم فكري يعالج مشاكل الناس فأوديتهم الفكرية متناقضة ولا تأثير لهم في نفوس الشعوب إلا بصورة محدودة ولا عجب في فشلهم ونجاح علماء الإسلام؛ لأن العلماء هم ورثة الأنبياء، أما المتخصصون في العلمانية فهم ورثة من؟ وإذا كان العلم يقتصر على العلوم المادية فقط فهذا اعتراف صريح من العلمانيين أن مفكري العلمانية والفلاسفة ليس عندهم علم يستحق أن نتعلمه وهذا ما نقوله منذ هدانا الله للإسلام .

٣- تحكيم العقل:

الدعوة لتحكيم العقل والتفكير والتعمق ليست اختراع علماني كما يدعى العلمانيون، بل هي بديهية بشرية يطبقها البشر بصورة طبيعية، فلقد استمعوا طوال تاريخهم للأنبياء، والسياسيين، ورجال الدين، والفلاسفة وغيرهم، وتناقشوا معهم، وآمنوا وكفروا وأيدوا وعارضوا ومدحوا وذموا، ولا يحق للعلمانية أن توهم الناس أنها أول من دعا لتحكيم العقل؛ فالقرآن الكريم به أدلة المؤمنين وأدلة الكافرين والحوار بينهم وألف المسلمين وغيرهم كتب كثيرة في الأديان والفلسفة والعلوم المادية وتحاور البشر على مر التاريخ وضحكوا وبكوا وسعدوا وشقوا وعاشوا حالات سلم وحرب وعدل وظلم وغنى وفقر وهذا هو ما يحدث في واقعنا الحالي، ومن أهم الأدلة على أن البشرية تفكر وتتأمل وتتناقش: أنه تحول الكثيرون من عقائدهم السابقة إلى اليهودية والمسيحية والإسلام؛ والتغير العقائدي من أصعب الأمور ولا يتم إلا بعد بحث واقتناع وتفكير .

٤- التخدير العلماني:

هناك أولويات للبشر وأهمها الوصول للعقائد والمبادئ الصحيحة وللعلمانية وسائل

شريرة تمنع ذلك؛ فتقول العقائد قضايا غيبية لا دور للعقل فيها أولا دور لها في الحياة فلا تهتموا فيها وهذا افتراء؛ فالعقائد السماوية تأثيرها كبير جداً في الحياة والواقع السياسي، وقد تقول حتى لو بحثت في العقائد فلن تعرف الحق من الباطل؛ فالأديان لا يوجد لها أساس علمي وهذا خطأ؛ فالأدلة على صدق النبي محمد ﷺ كثيرة، ومن وسائل التخدير العلماني إشغال الناس بالشهوات، والروايات، والموضة والأسواق، والسياحة والأفلام ومباريات كرة القدم، والأعمال الوظيفية، والتجارية، والفنون التشكيلية، والموسيقى، والغناء والمسرحيات، والسيرة الذاتية للأفراد وأقوال الفلاسفة والعلمانيين... الخ ولنعلم أن الحياة مهمة جداً وعلينا ألا نحرق ساعتها فيما لا يفيد فهناك حساب وثواب وعقاب .

٥- الفكر الإنساني:

يقول بعض العلمانيين أنهم ينتمون للفكر الإنساني، وأقول لا يوجد فكر إنساني؛ بل توجد عقائد ومبادئ متناقضة للبشر فما هو الفكر الإنساني وأين نجده وهل هو صناعة أمريكية؟ ولماذا لا يكون هو عقائد الصين فهي أكبر وأعرق؟ وأقل شراً على مستوى العالم والغريب أن العلمانية الحقيقية تقول لا يوجد عقائد وفكر صحيح إطلاقاً ما يوجد هو آراء متناقضة تحتمل الصواب والخطأ فكيف يقول هؤلاء العلمانيون أنهم ينتمون للفكر الإنساني إنه الضياع والجهل، ومشكلتهم أنهم لم يتعمقوا في العلمانية وأنهم يتكلمون أكثر مما يستمعون .

٦- ألفاظ غامضة:

تأخذ العلمانية من المبادئ ألفاظها، ومصطلحاتها، وشكلها الخارجي فالعلمانية؛ الرأسمالية الأمريكية تحارب الإرهاب من دون أن تقدم تعريفاً واضحاً له، وتعريفها العملي هو كل من يعارض طغيانها واستعمارها، وتدافع عن حقوق الإنسان ولكنه دفاع جزئي لا يخرج من دائرة حدود الدولة العلمانية الرأسمالية الغربية، وتعتبر

جزء من الرقي الإعلامي إتقان فنون الكذب على العالم؛ بل وعلى شعوبها وقل مثل ذلك عن مصطلحات الحرية، والدفاع عن النفس، والمصلحة الوطنية، وأمن الدولة، وتعريف الأصدقاء، والأعداء والأحرار والخونة فكم أفسدت العلمانية الفكر الصحيح وجعلته عجينة يشكلها الأشرار كما يريدون فضلت وأضلت ؟!

٧- الطريق إلى الحق:

أدعوك لأن ترفض أن يكون عقلك هو المرجع الذي يصنع مبادئك كما تدعو العلمانية؛ فالمبادئ لا يتم صناعتها بصورة فردية ولا جماعية، فالعقل الفردي أو الجماعي عاجز عن صناعة المبادئ الصحيحة؛ لأن المبادئ كثيرة تتعلق بالدنيا والآخرة، والعدل والحرية والمساواة، والحياة الزوجية، والاقتصاد والسياسة والأخلاق وغير ذلك؛ فلو حاولت أن تطبق كما طبق العلمانيون مبدأ القراءة والتجربة والمشاهدة والاستنتاج على المبادئ الفكرية؛ فستكتشف سريعاً أن العدل أو تربية الأبناء أو العواطف الإنسانية أو العقوبات المناسبة أو غير ذلك هي: مواضيع متشعبة وعميقة، وفيها جوانب نظرية، وتحتاج خبرات عملية، وستقتنع أنك عاجز وجاهل مهما تعلمت بدليل أن كل فرد فينا يتعلم كل يوم شيء جديد في مجال تخصصه الجامعي إن كان في القانون أو السياسة أو علم الاجتماع أو غير ذلك، وما قد يراه اليوم صواب سيرى بعضه خطأ بعد أن يزداد خبرة وعلماً، فما بالك بمجالات عديدة جداً لم تأخذ فيها شهادة علمية إذن إن لم يهديك الله سبحانه وتعالى للمبادئ الصحيحة فلن تهتدي أبداً وما ينطبق على الفرد ينطبق على الشعوب؛ فكل ما بذله العلمانيون والفلاسفة من جهد لمعرفة المبادئ الصحيحة من خلال دراسة العقائد والإنسان لم ولن يوصلهم لها؛ لأن هذا الأسلوب ليس الأسلوب الصحيح للوصول للعقائد والمبادئ والدليل تناقضهم في آرائهم بل كثير منهم يقتنع برأي (مبدأ) ويدافع عنه ثم يرفضه، ويقول وجدته خاطئا وما أرسل الله سبحانه وتعالى الرسل إلا ليعلمونا المبادئ الصحيحة .

٨- ليبراليون حاقدون:

إذا كان أغلب الليبراليون والعلمانيون العرب مسلمون؛ فإن هناك ليبراليون وعلمانيون متطرفون أو حاقدون مشروعهم الرئيسي وأحياناً الوحيد هو تشويه الإسلام والمسلمين ووصفهم بالإرهابيين أو الرجعيين أو الظلاميين أو المتخلفين أو السطحيين وعند هؤلاء الحرية تتسع للجميع ما عدا الإسلاميين، والديمقراطية مقبولة بشرط ألا تنتخب الشعوب الإسلاميين هؤلاء ينفذون حرفياً مخططات أعداء أوطاننا وأمتنا فهم طابور خامس فيرددون اتهامات الأعداء ومخابراتهم وإعلامهم بأن الإسلاميين إرهابيون ولا يؤمنون بالديمقراطية ولا يقبلون الرأي الآخر ويضطهدون المرأة والأقليات وما يفعله هؤلاء خيانة للإسلام والوطن لأنهم يسعون لإضعاف الرابطة الفكرية الإسلامية التي تجمع أبناء شعوبنا وأمتنا فتجعلهم يتعاونون ويتحدون بل وجدنا بعضهم يصفقون لكل احتلال غربي مباشر ويقلدون الغرب في كل ما يستطيعون في عقائدهم وثقافتهم ولغتهم وحتى ملابسهم ومأكلهم فهم ضدنا قلباً وقالباً وجوهراً ومظهراً .

٩- جزئيات فكرية:

يهرب العلمانيون من النقاش الجذري والشامل للعقائد ولو كان لهم موقف واضح وصريح مما في الأرض من عقائد رئيسية لقلنا على الأقل أنهم ناقشوا بصورة علمية فأخبرونا أنهم يعتقدون أن الإسلام حق أو باطل ومثل ذلك قل عن المسيحية واليهودية والبوذية والشيوعية والاشتراكية والرأسمالية والوجودية... الخ فهم يقولون لا ندري هل أرسل الله رسلاً أم لا؟ بل لا ندري هل الله موجود أم لا؟ ولا ندري أين العدل الصحيح؟ وأين الحرية الصحيحة؟ فمنهجهم الفلسفي قائم على «لا أدري» ولهذا يقولون للأفراد والشعوب اختاروا ما ترون أنه صواب أياً كان ما تختارونه، وحتى لو كان متناقضاً ومتصادماً مع بعضه البعض، أو حتى لو كانت المبادئ التي اقتنعتم بها

قليلة جداً لا تزيد عن صفحة واحدة ولنعلم أن العلمانية تتعامل مع الجزئيات الفكرية فتقارن مبدأ فكري بآخر ومعنى فكري بآخر فإن لم يقتنعوا كأفراد بشيء محدد لجأوا للتصويت لحل الاختلاف على المستوى السياسي، أما على مستوى الأفراد فلا حل لاختلافاتهم فهم غير قادرين على تركيب نموذج فكري متكامل ومتوازن، وهذا العيب جعلوه ميزة فهم يقولون نحن لا نفرض عليك فكراً محدداً بل لا نوجهك لفكر محدد واضح ومتكامل ومتوازن؛ بل نقول اقتنع بما تشاء بالإيمان أو الإلحاد بالعفاف أو الفسق بالصدق أو الكذب... الخ وهذا الكلام لو تعمقنا فيه يعني أنهم يجهلون الإجابات الصحيحة عن الأسئلة الفكرية الكبرى؛ أي لا رصيد لهم من العلم يجعلهم يجاوبون؛ فما أشبههم بطالب لا يعرف الإجابات الصحيحة ومع هذا يعاند ومغرور بجهله .

مأساة اختلاف العلمانيين

تعالوا لنسلط الأضواء على كارثة اختلاف العلمانيين من خلال ما يلي :

١- الدستور العنكبوتي:

سيظهر الاختلاف بين العلمانيين عند كتاب كل مادة في الدستور إذاً لابد من التفصيل في كثير من المواد، وهذا يعني أنه من المستحيل الوصول لدستور يرى العلمانيون أنه حق وصواب لأن مفاهيم الحق والصواب عندهم متناقضة فكل عقل يكون مفاهيمه الخاصة فيه وسيتم ولادة الدستور والقوانين نتيجة تنازلات متبادلة وحلول وسط وضغوط وعموميات ومصالح ولن يقتنع أي علماني حتى بصواب بنصف مواد الدستور ولن يوجد فرد واحد مقتنع بأغلب مواد الدستور؛ أي مقتنع أنها تترجم العدل والحرية والمساواة وسيسعى كل طرف لتغيير الدستور والقوانين كلما استطاع ذلك؛ وهذا يعني أن الإيمان الحقيقي بالدستور والقانون ضعيف أو غير موجود، وأمر هذه بدايته كيف ستكون نهايته؟! إن الإيمان بالدستور والقوانين خرافة علمانية وتمسكهم به من باب الاضطرار فهو ليس سفينة إنقاذ؛ بل أجزاء من حطام سفينة خشبية يتمسك به الناجون؛ أي حالتهم مأساوية قال تعالى: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاء كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ آية: (٤١) سورة العنكبوت، وفي المقابل نجد الله سبحانه وتعالى لا يقبل من المسلم إلا الإيمان بكل ما في القرآن والسنة؛ أي عندنا وحدة فكرية هائلة، ومبادئ كثيرة متفقون عليها، ومقتنعون أنها حق وصواب، ومنها نصنع عقائدنا ودساتيرنا وقوانيننا وأخلاقنا وأهدافنا... الخ قال تعالى: ﴿أفمن يمشي مكباً على وجهه أهدى أم من يمشي سوياً على صراطٍ مستقيم﴾ آية: (٢٢) سورة تبارك.

٢- الاختلاف على المستوى الشخصي:

إذا اتبع كل فرد عقله وكون مبادئه الخاصة والتي ستكون بالتأكيد مختلفة عن الآخرين يصبح كل فرد غامض؛ فكل علماني غامض لا ندري هل يؤمن بوجود الله؟ وهل هو مقتنع بأن شرب الخمر جزء من الحرية الشخصية؟ وهل مقتنع بأن الإنفاق على الأسرة واجب الزوج أو الزوجة أو كليهما؟ وستختلف كل أم مع الأب حول الأسس الصحيحة لتربية الأبناء، وسيختلفون حول الحقوق والواجبات، وحتى نوعية الملابس بالنسبة للنساء، ولن يكون للأسرة «ميزان فكري» يزنون فيه الحق من الباطل، ولن تكون هناك أغلبية تحسم الخلاف وستؤدي الاختلافات إلى المشاحنات، والجدل، والغضب، وتفكك الأسر؛ بل والعزوف عن الزواج؛ لأنه سيتحول إلى جحيم في وجود الاختلاف الفكري، وهذا أدى في الغرب إلى العنوسة والعزوبية وارتفاع نسبة الطلاق والمشاكل الزوجية... الخ .

٣- الود المفقود:

هل فعلاً يطبق العلمانيون «مبدأ اختلاف الآراء لا يفسد للود قضية»؟! هل الشيوعي يود الرأسمالي أو حتى الاشتراكي؟ وهل العنصري يحب الأممي؟ ولماذا لم تود الرأسمالية الأمريكية الشيوعية السوفيتية؟ ولماذا تصارع العلمانيون الرأسماليون في أوربا طيلة أربعة قرون، وما اتحدوا اليوم إلا من باب الاضطرار السياسي والاقتصادي؛ أي مكره أخاك لا بطل؟ ولماذا لم يود العلمانيون العرب الإسلاميين بل لماذا اختلفوا فيما بينهم وتصارعوا كأفراد ودول؟ فكلما تكلموا وتناقشوا اختلفوا وتفرقوا فكيف سيبنون اتجاه أو دولة أو قواعد شعبية؟! إنهم ظاهرة صوتية وشكل خارجي وهل تتوقع من بيت العنكبوت أكثر من ذلك؟ وكيف يكون بينهم ود أو بينهم وبين المجتمع، والعلمانيون هم أبناء الفلاسفة الذين ليس عندهم إلا الطعن في عقائد الآخرين ومبادئهم وتوجيه الاتهامات حتى للنوايا بل حتى العمل الخيري الإسلامي ينهشون لحمه كل يوم .

٤- التعامل مع الاختلافات:

يختلف البشر في عقائدهم ومواقفهم السياسية وطباعهم وأهدافهم ومصالحهم... الخ؛ فالاختلاف أمر واقع ولا يوجد في العلمانية منهج أو أسلوب يحدد كيفية التعامل مع الاختلافات؟ فالأمر متروك لكل شعب وكل فرد ليجتهد في حين عندنا في الإسلام مبادئ منها: «لا إكراه في الدين» وهناك حقوق وواجبات للأزواج والزوجات، وهناك مناطق اجتهادية، وهناك ميزان فكري يحل أغلبية المواضيع التي يختلف حولها الأزواج مما يجعل الزواج أسعد وأعدل، وهناك مبدأ اسألوا أهل الذكر، ومبدأ طاعة الوالدين، ويحرص الإسلام أشد الحرص على وحدة المسلمين، ويحذر من سفك الدماء والفتن، والصراع على المناصب والأموال، ويحارب العصبيات العرقية، ويمنع التجسس والغيبة، ويدعو للإصلاح بين الناس، ويأمر بالصبر والتسامح والحلم قال تعالى﴿وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾آية:(٤٦) سورة الأنفال، ولو تمسك المسلمون بنصف هذه المبادئ لحققوا الكثير من الخير؛ فالإسلام غني فكرياً في هذا المجال وغيره في حين أن العلمانية فقيرة وعاجزة وضائعة كل ما عندها نداء ورجاء بالدعوة للحرص على التعاون والوحدة للوطنية؛ أي كلام عاطفي لا منهج علمي واقعي .

٥- هل المسلمون مختلفون؟:

الجواب لا ونعم لا لأن المسلمين عندهم أكبر وحدة فكرية على وجه الأرض؛ فالقرآن والسنة مبادئ كثيرة نؤمن بها، وتجعل عندنا وحدة فكرية وتشابه فكري، واقتناعات موحدة في كثير من المجالات والمواضيع الدينية والدنيوية والعامة والشخصية؛ فإذا قلت عن فرد أنه مسلم ملتزم فأنت تعرف ماذا يعتقد؟ وماذا يحب؟ وماذا يكره؟ وغير ذلك كثير في حين أنك عندما تقول هذا علماني ملتزم فلن تعرف عقائده ومبادئه إلا من خلال المعاشرة، ويختلف المسلمون في القضايا الاجتهادية وهي كثيرة ولكنه اختلاف طبيعي وصحي لاختلاف العقول والظروف .

٦- مبادئ منحرفة:

مادام الاختلاف الفكري الجذري (الأساسي) مقبول من العلمانية على مستوى الدولة والأفراد فأصبح عندهم الاقتناع بالمبادئ المنحرفة أمر عادي؛ بمعنى إذا أقنعك عقلك بالزندقة أو الإلحاد أو الزنا أو شرب الخمر أو الزواج المثلي أو الأفلام الجنسية أو الربا أو العنصرية فلا بأس بذلك ويمكن أن تتبنى الدولة كل هذه الأمور من خلال التصويت الشعبي أو بقرار من الحكومة إن كانت صاحبة الاختصاص؛ فالفكر العلماني هو الذي أعطى الباطل والجهل والشر الشرعية؛ لأنه قال ما تقتنع به عقولكم أنه صواب اتبعوه، وهناك عقول كثيرة مقتنعة بانحرافات واضحة ترى أنها حق وصواب وعدل وحرية وإذا كان البعض ضللتهم عقولهم الضائعة؛ فإن الفاسدين وجدوا في الفكر العلماني وقبوله اللامحدود للاختلاف الوسيلة لإعطاء الشرعية الفكرية للعنصرية والاستعمار والفسق والتبذير... الخ فالحكومة الظالمة تقول أنها فعلت كذا وكذا؛ لأنها أمور مهمة لأمن الوطن والمتاجرين بالأفلام الجنسية يقولون هذه حرية شخصية وهكذا في حين أن الإسلام يغلق أبواب الشر؛ فالجاهل سيجد من يعلمه أن العنصرية أو الخمر أو غيره انحراف، والفاسد لا يجد في الإسلام ما يعطيه الشرعية التي تبرر انحرافه .

حوار في الوقت الضائع

شاهدت بالتلفاز حوار بين مثقفين عرب حول العلمانية وكالعادة لا يتم وضع النقاط على الحروف ولا تفتح الملفات الحساسة وغالباً ما يكون المتحدثين في هذه المواضيع لا يعرفون الإسلام أو العلمانية أو كلاهما وإليكم رأيي فيما سمعت :

١- التوفيق بين الإسلام والعلمانية:

لا توجد حلول وسط بين الإسلام والعلمانية فالقضية ليست سياسية بل إيمان أو كفر ونور أو ظلام ولم يقبل الرسول ﷺ التنازل عن أي جزء من الإسلام حتى لو وضعوا الشمس في يمينه والقمر في شماله ومن ليس مستعد لقبول نظام الحكم الإسلامي في العالم العربي فلا يضيع وقتنا ووقته في النقاش والقضية بالنسبة لنا ولشعوبنا محسومة فكرياً وشعبياً ولا يوجد خيار لنا إذا كنا نريد أن نكون مسلمين غير أن نلتزم بالشريعة الإسلامية ومن عنده شك فليعمل استفتاء شعبي من المشرق إلى المغرب ولتختار الشعوب بين نظام الحكم الإسلامي ونظام الحكم العلماني وسيصدق ما أقول، وما يحتاجه المسلمون اليوم هو تطبيق الإسلام بطريقة صحيحة وباجتهادات صحيحة تحقق الديمقراطية والعدل وإنصاف الأقليات والمرأة و بصورة تناسب ظروف كل بلد حتى ننطلق للبناء من خلال أنظمة إسلامية عصرية تفهم الإسلام والواقع والحياة .

٢- سقوط العلمانية:

قال أحد المشاركين في النقاش : « إن بعض الأنظمة العربية ليست علمانية بل هي إستبدادية» وقال آخر« إن العلمانيين العرب أعطوا نموذج سيء عن العلمانية حيث جعلوها متصادمة مع الإسلام؛ فأحدهم يطالب بخمارة في كل حي» وأقول آراء وأفعال العلمانيين العرب ليست سراً وقبحها معروف ومن وصل منهم للحكم أعطى

نماذج سيئة جداً في الاستبداد وانتهاك حقوق الإنسان أو سرقة الأموال أو كل ذلك، وكل نظام ليس إسلامي بصورة صحيحة هو نظام علماني سواء كان استبدادياً أو ديمقراطياً وفي ثورات الشعوب العربية الحديثة دليل واضح على سقوط العلمانية وشعاراتها وأحلامها. ولنعلم أن العلمانية فكر فاسد وأن الإيجابيات الموجودة في الدول الغربية ليست بسبب العلمانية بل منبعها الديمقراطية والتطور في العلوم المادية والإدارية وقوة القطاع الخاص ولو أعطينا العلمانية مئة فرصة في التطبيق فلن تنجح وكيف يستقيم الظل والعود أعوج .

٣- الواقعية السياسية:

قال المثقف «الإسلامي» إن العلمانية في الغرب جاءت ضد سلطان الكنيسة ورجال الكنيسة وليس عندنا في الإسلام رجال الدين والمطلوب أن تلتزم الدولة بالخير والفضيلة» وأقول ما هو تعريف الخير والفضيلة أو العدل أو الحرية... الخ وأقول المطلوب أن تلتزم الدولة بالإسلام، وهذه القضية محسومة؛ فالأغلبية الساحقة من العرب وبنسبة ٩٠٪ مسلمون وعدد ممن يقولون نحن علمانيون لا يصل حتى ١٪ إن لم يكن واحد في الألف وهذه النسبة لا يحق لها التكلم في تقرير مصير أوطاننا وأمتنا فلا وزن سياسي لها ولن نسلمها رقابنا وهذا قمة الديمقراطية والموضوعية والعدل والواقعية، وأتمنى أن يقرأ العلمانيون الواقع بصورة علمية ولا يعجزوا كما عجزوا عن قراءة العقائد؛ باختصار كيف نجعل المنبوذين منا قياديين لنا؟!

٤- ثقافة أوروبية:

عندما نتكلم عن أوضاع العالم العربي يبدأ بعض المثقفين في الحديث عما حدث في أوروبا من صراع بين الكنيسة وعلماء المادة أو ماذا قال هذا الفيلسوف أو ذاك أو أسماء أمهاتهم أو مفاهيم الدول العلمانية؟ وكيف تغيرت خلال الخمس قرون؟ وغير ذلك، وهذا الشرح والتفصيل لا علاقة له بالموضوع؛ فأوضاعنا تختلف ومشاكلنا

تختلف والعلمانية مرفوضة والمسلمون يحاربونها؛ فأخرجوا من المربع الأول فقد خرجت منه الأمة قبل خمسة عشر قرنا، وقررت أن «لكم دينكم ولي دين» كما جاء في سورة الكافرون إننا لا نريد أن نعيش في مشاكل فكرية غير موجودة إلا في عقول العلمانيين وما تحتاجه الأمة اليوم هو أن تنطلق فتعمل الدراسات العلمية النظرية والميدانية في كثير من المجالات، وتضع الخطط والبرامج وتحشد الطاقات للبناء والعمل .

من المخطئ في فهم العلمانية ؟

عيد بطاح الدويهيس

تبدو كل المبادئ جميلة

اعتقد أن الإسلام هو الدين الصحيح ولكننا نجد أن هناك اقتناع كبير لأصحاب العقائد والمبادئ الدينية والعلمانية بأنهم على حق وصواب وسأتطرق هنا إلى بعض الأسباب التي أدت إلى هذه الثقة الكبيرة في صحة مبادئهم وذلك من خلال النقاط التالية :

١- القيم النبيلة:

أغلب المبادئ الرئيسية الدينية والعلمانية فيها كمية من القيم النبيلة مثل خدمة المجتمع، والمصلحة العامة واحترام الأخلاق الفاضلة، ومساعدة الفقراء، وإنصاف المظلومين؛ ولهذا يجد فيها أصحاب النوايا الطيبة مجالاً للاقتناع والقبول؛ فالعلمانية الشيوعية تدعو إلى إنصاف العمال والفلاحين والفقراء من ظلم الأغنياء وتدعو للمساواة العرقية بين بني آدم وتحارب التعصب العرقي سواء كان قبلياً أو وطنياً أو قومياً فالناظر إليها سيجد فيها كثير من الإيجابيات ولكن المتعمق في النظر سيجد أن إنجازاتها الصالحة قليلة وفشلها وشرها كبير .

٢- الدفاع والهجوم:

كل عقيدة لديها ردود تبدو منطقية وعلمية ترد فيها على الشبهات والاتهامات التي توجه لها فالرأسمالية العلمانية تقول أنها تحترم الأديان ولا تحاربها وتقول أنها ضد العنصرية وتتبرأ من الاستعمار الرأسمالي العلماني لدول آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية وتتبرأ من عمليات التعذيب والسجون السرية وفي نفس الوقت تجد كل أصحاب عقيدة ينتقدون ويشوهون فكرياً وواقعياً وتاريخياً بالحق أو الباطل العقائد الأخرى، أو يطعنون في تاريخ أصحابها، ويحملون هذه المبادئ الانحرافات كأن الواقع صناعة المبادئ فقط، فما أكثر الاتهامات التي توجه للإسلام! فصورة

المسلم الملتزم في عيون الغربيين أنه إنسان سطحي ومتشدد وحتى إرهابي وقال لي مرة عربي مسلم متأثر بالعلمانية اذكر لي إيجابية واحدة للدولة العثمانية؟! فإذا كان التشويه وصل لهذه الدرجة لعقول عربية مسلمة فما بالك بغيرها .

٣- الناس مشغولون:

كثير من الناس مشغولين بأمور معيشتهم من أسرة ووظيفة والتزامات اجتماعية، وكثيرون لا يحبون القراءة في مجال الفكر؛ فالعقائد عندهم أمور ثانوية أو نظرية وهؤلاء يأخذون عقائدهم من البيئة المحيطة بهم ولا يتعمقون فيها، وبعضهم لا يرغبون حتى بمناقشة أحد حولها وزاد الطين بلة أن عمليات نقد المبادئ الخاطئة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على المستوى العقائدي لا يقوم بها كثير من المسلمين ويظنون أن هذا واجب علماء الدين فقط وهذا خطأ كبير أعطى العقائد الباطلة عمراً طويلا، ويشجع النقد العلمي الهادئ كل صاحب عقيدة باطلة على الشك في صحة مبادئه؛ فكيف إذا لم يكن هناك نقد بل هناك صمت ومجاملات ومما جعل الأمر أكثر سوءاً انتشار الفكر العلماني الذي يقول لا يمكن إثبات صواب أو خطأ أي عقيدة سواء دينية أو علمانية وأن العقائد أشياء فلسفية ونظرية وما وراء الطبيعة ولا تأثير لها بالواقع وهذا جهل عظيم ولو كان هذا هو العيب الوحيد في العلمانية؛ أي نشر الجهل العقائدي لكفاها وليس هدف النقد فرض العقيدة الصحيحة بالقوة ولا معاقبة الناس على عقائدهم بل إيصال العقيدة الصحيحة لهم أي التبليغ فقط.

٤- تحكم العاطفة:

كثير ما يكون الاقتناع بالعقائد والمبادئ الدينية والعلمانية هو لأسباب عاطفية وبيئية؛ فهي أمور تربوا عليها وهي عقائد آبائهم وأمهاتهم ونقشت في عقولهم وعواطفهم من الصغر، وهي عقائد أقاربهم وأصدقائهم ومجتمعهم ولها جذور تاريخية وثقافية فيها أبطال وانتصارات، وهذا يعني أن كثيراً من هؤلاء يفكرون بعواطفهم لا بعقولهم

وعلينا أن نبحث عن الوسائل التي تجعلهم يستيقظون، وإذا كان كثيراً من الناس عاطفيين أو مشغولين بحياتهم فإن هؤلاء عادة ما يكونون تابعين لغيرهم ولهذا على جهود الإصلاح الفكري أن تركز أولاً على المتخصصين فكرياً، وعلى من يبحثون عن الحقيقة من مثقفين فهؤلاء من يقودون المجتمعات فكرياً نحو الحق أو الباطل .

٥- المخلصون:

وجود عقائد باطلة لا يعني أنه ليس فيها مخلصون قمة في أخلاقهم وتضحياتهم فيجد الفرد في من يمثلون عقائده ومبادئه سواء كانت دينية أو علمانية قياديين وأفراد جادين وملتزمين وصادقين فهم أمثلة في العبادة أو الإخلاص أو التضحية أو مساعدة الفقراء أو غير ذلك، ولو أدرك هؤلاء أن في كل عقيدة مخلصون لما كان وجود هذه النماذج دليل «قوي» على صحة مبادئهم .

٦- الاقتناع بالأديان السماوية:

كان البشر ولازالوا مقتنعين بالإسلام والمسيحية واليهودية فالاقتناع بالأديان السماوية أشد من الاقتناع بالعلمانية ومدارسها المختلفة؛ فالشيوعية ابتدأت وانتهت في قرن واحد والإيمان بالعلمانية الرأسمالية ضعيف؛ لأن مبادئها متناقضة والفكر الديني شمولي للدنيا والآخرة ولديه ارتباط بالله سبحانه وتعالى وأخلاق رفيعة ولازال مؤثراً من آلاف السنين ويحضر على الأقل كل أسبوع صلاة الجمعة أكثر من مئة مليون مسلم وهناك الوضوح والشمولية والواقعية والاعتدال والتكامل والتوازن ونرى علمانيين يدخلون كل يوم إلى الإسلام مع أنهم أوربيون وأمريكيون أي عاشوا في بيئات علمانية، وأذكر أن ما جذب فتاة بريطانية للإسلام ما وجدته من اطمئنان نفسي عند المسلمات، فبالتأكيد أن من يقترب من الإسلام والمسلمين نظرياً وعملياً سيجد بيئة راقية وهذا يحدث حتى مع المسلمين العصاة والبعيدين عن المساجد فتجد حياتهم تتغير نحو الأفضل عندما يصلون في المساجد؛ وفي المقابل نجد العلمانية

عاجزة عن تفسير الحياة والموت وتقف بلا أجوبة مقنعة حول السعادة والشقاء وكل همها الماديات والسياسة والاقتصاد .

٧- ضحالة الفكر العلماني:

من الممكن أن يُقنع من يعيش في النور من يعيش في الظلام أنه على باطل وأقصد بذلك أن ضحالة الفكر العلماني تجعل النقاش بين علماني وعلماني هو نوع من حوار الطرشان؛ فالرأسمالي الأممي لا يستطيع إقناع الرأسمالي العنصري لأن لكل طرف حججه والشيوعي لا يستطيع إقناع الرأسمالي والعكس صحيح وكثير ما ينتهي الحوار بالجدل وبلا نتيجة لأن «فاقد الشيء لا يعطيه» ولأن الظلام لا يستطيع أن يقنع ظلام آخر بأنه نور .

٨- نقد علمي فعال:

تتطلب عملية هدم المبادئ الباطلة سواء كانت دينية أو علمانية تدريس مكثف وصحيح وعميق يركز على نقد الأصول لا الفروع وتفنيد الأدلة الوهمية وإيجاد بيئات حوار علمي موضوعي وصادق بعيداً عن العواطف والسياسة والمتطرفين والجهلاء وغير المتخصصين، وكم وجدت شخصياً في كثير من الدعاة المسلمين والمثقفين المسلمين الضعف الشديد في قدرتهم على نقد العلمانية أو غيرها! ويجب أن ندرك خطر العلمانية فهي وباء أفسد العقول والواقع وهي المرض الرئيسي والخطر الأول في العصر الحديث، ونحتاج تأليف كتب في هذا النقد، ونحتاج دورات تدريبية فإن لم نقذف الحق على الباطل فلن ينهزم الباطل وعلينا استخدام وسائل الاتصال الحديثة كالإنترنت وغيرها، ومن الأخطاء الكبيرة التي يقع فيها المسلمون أنهم يأخذون موقف الدفاع عن الإسلام أكثر بكثير من موقف الهجوم على العلمانية وإثبات براءة العقل والعلم منها وانتساب الحماقة والجهل لها .

أنت مثقف كبير

أنت مثقف كبير لأنك تتقن الإنجليزية والفرنسية والأسبانية والألمانية، وقد قرأت على الأقل كتابين لكل فيلسوف أو مفكر غربي عاش خلال القرن العشرين، كما أنك خريج جامعة أكسفورد العريقة ، وتزوجت من إنجليزية من عائلة ارستقراطية أي جيناتها أفضل من بقية بني آدم وأنت على اطلاع وتواصل كبير مع كبار السياسيين والفنانين والأدباء الغربيين فكم جلست مع سياسيين! وكم شاهدت من مسرحيات ومعارض فنية! وكم قرأت من روايات لكبار الأدباء! وواضح أنك معجب بنابليون وفولتير وليس هذا فقط بل لا يوجد محل مشهور في لندن وباريس ونيويورك إلا واشتريت منه بدلة أو قميص أو حذاء ومن كثر متابعتك للموضة فأنت تسبقها أحياناً ومعروف عنك تفضيلك للمطبخ الإيطالي على غيره.. إنك فعلاً مثقف على الأمة العربية أن تفرح بك وفي نفس الوقت أن تلطم لأن كل ما عندك ثقافة وفي أمور هامشية وبعضها تافهة؛ لأن كل ثقافتك عاجزة على أن تبني فرد ناهيك عن أسرة أو دولة أو حزب بل إنها ثقافة سطحية رصيدها الشكليات والقيل والقال والأفراد وحياتهم والفلاسفة وضياعهم وما شابه ذلك. إنك تجهل صفات الله سبحانه وتعالى ولماذا خلقنا؟ وتجهل سيرة النبي ﷺ وتجهل آيات القرآن وأحاديث الرسول ﷺ وصدقني أنك لا تعرف المعنى الصحيح للعدل والحرية والمساواة مع أنها كلمات ترددها كثيراً وأنت لا تعرف الحقوق الزوجية، ولا تعرف أسس التربية الصحيحة؛ لأنك تعتقد أن تدريس الأبناء في مدارس أجنبية هو استثمار في مستقبلهم والأمر ليس كذلك. قل لي بربك ماذا تستفيد من أقوال الفلاسفة وهم قالوا أقوال كثيرة فيها حق وباطل؟! وأنت أولاً: لا تحتاجها وثانياً: لا تعرف الحق من الباطل فيها؛ لأنه ليس عندك ميزان علمي تزن فيه الأقوال كل أرائك مبنية على الظن ولهذا تختلف فيها مع كثيرين ممن حولك من المتثقفين، ومتى كان العلم الفكري آراء متناقضة؟!

ومتى كان الرصيد العلمي هو عبارة عن رصيد من الأقوال المتناقضة؟! وأي مشكلة ستفهمها بهذه الخلفية الضائعة؟! وأي حل ستقدمه لنفسك أو أسرتك أو وطنك إذا كانت المراجع التي تستند إليها متناقضة؟! إن ثقافتك تبقى عاجزة عن إيصالك للنور والسعادة فماذا استفدت منها؟! وهل تعتقد أن تفاخرك بها ومدح بعض الناس لك هو نجاح حقيقي أم أنه نجاح مزور؟! وماذا تستفيد من معلومات شخصية كثيرة عن فلاسفة وسياسيين غربيين جعلهم الإعلام الغربي العلماني مشاهير وعباقرة وقادة والأغلبية العظمى منهم أقزام؟! عندما تقترب منهم ستجد السخافات السطحية أو الفسق أو الغرور أو الأنانية، عليك أن تسعى لأن تكون من الصالحين، وأن يكونوا هؤلاء هم أصدقاؤك حتى لو كانوا فقراء ومغمورين، وحاولت العلمانية أن تجعل من الثقافة السطحية هي العلم ودليل لتقدم الفرد ورقيه وهي مقياس الحضارة، فاخرجوا يا عقلاء منها، وأسرعوا الخطى نحو معرفة الله سبحانه وتعالى وطاعته، واذهبوا فوراً للمساجد واسجدوا مع الساجدين واستمعوا إلى كلام الله ورسوله، وأقوال العلماء، وستلاحظون إنشاء الله تعالى أن هناك حياة دنيوية سعيدة وستطمئن نفوسكم، وستعلمون كم أفسدت العلمانية وآرائها وأعلامها عقول الكثيرين؟! إن ما أدعوكم له هو ما فعله الأنبياء وهم أفضل البشر فاتخذوهم قدوة وسيروا في نفس طريقهم لا في طريق صنعته العلمانية بجهلها فمزقت عقولكم ونفوسكم وأشقتكم في الدنيا أعظم شقاء .

الشاب الفيلسوف

قال الشاب الفيلسوف:

«هناك ثلاث شخصيات عظيمة تعد من أهم محركات الفكر الإنساني في العصر الحديث هم داروين وماركس وفرويد، فالأول مثل التطويرية في المجتمع وقانون البقاء للأقوى، والآخر مثل: الصراع والديالكتيكية، والأخير مثل الشعور واللاشعور وتحكمهما في النفس الإنسانية، ومن هذه الأطر سنتناول إزدواجية مجتمعنا العربي الإسلامي ومدى تخلفه وتناقضه مع ذاته وأول مظاهر هذه الازدواجية هم وعّاظ الدين الذين يظنون أنهم يصلحون بالأقوال والعظات ما يعيش فيه مجتمعهم من تناقضات وسيئات، فهم يمارسون عظاتهم من منطلق قواعد المنطق القديم القائم على التصنيف بين أبيض وأسود وصالح وطالح معي أو ضدي بينما المنطق الحديث والواقع الجديد يخالف ما وصل إليه أرسطو طاليس في طرق التفكير القديم؛ فالمنطق الحديث منطق التناقض في ذاته فكل شيء يحمل نقيضه في صميمه وتكوينه فلا ثابت هناك بل الكل نسبي، وإذا كانت بعض المبادئ صحيحة في زمن ما قد لا تكون كذلك في زمن تال ولعمري إن كثيراً من أقوال الوعاظ تصل إلى الآذان ولكن لا تؤثر في طبيعة البشر وسلوك الإنسان حيث ترى وهذه حالة تتكرر بعد كل صلاة حيث نؤمر بتمام الوقوف والانتظار أمام الله تعالى ونخرج من الصلاة فوراً مخالفين النظام أمام بائع الخضراوات، ومتجاوزين الطوابير أمام كل ما يخالف العدل والإحسان في الحياة» ما قاله هذا الشاب المسلم الفيلسوف يعطي نموذجاً واضحاً على التشوه الذي يحدث للفكر والواقع إذا استخدمنا منظار الفلسفة وابنتها العلمانية في قراءة المبادئ والحياة وإليكم الأدلة :

١- عمالقة الفكر العلماني:

ماركس وداروين وفرويد لا يعتبرون من محركات الفكر الإنساني أو أحدثوا حتى تطوير فيه فهم عملوا ضجة ومشاكل وقنابل فارغة فداروين قال هناك تطور في الكائنات وهذا الرأي تأثيره محدود بل يكاد يكون غير موجود فلم يساهم في زيادة الإنتاج نوعاً وكماً ولم يؤدي إلى فائدة عملية للبشر ولا الفكر ولا العلوم المادية وكل ما حصل أن الزنادقة من الشيوعيين وغيرهم وجدوا في بعض ما قال طعن في الأديان بالقول إن الإنسان تطور من كائنات أقل وهذا يخالف ما تقوله الأديان السماوية من أن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان مع أن كل علماء الورثة والأحياء لم يقولوا أن هناك إثباتات علمية أن الإنسان تطور من قرد فالقضية باختصار أن ما قاله داروين استغل لأغراض سياسية وفكرية أما ماركس والصراع بين الأغنياء والفقراء والحتمية التاريخية فهي نظرية فاشلة عانت منها البشرية أشد المعاناة وكفر بها الاتحاد السوفيتي والصين وفيتنام وغيرهم فهي سخافات؛ أي باطل وخطأ قال الأستاذ أنيس منصور: «ولو أن كارل ماركس قعد في البيت طويلا وجعل المكتبة البريطانية بيتاً ما عرف القوانين التي شقلبت الحياة الإنسانية وخربت الدنيا حتى جاء من يلقي به في النار وكتبه.. جاء شيوعي جداً اسمه جورباتشوف هدم الماركسية والاشتراكية والجمهوريات السوفيتية» صـ١١٥ من كتاب «دعوة للابتسام» للأستاذ أنيس منصور أما فرويد فقد بحث في النفس البشرية في مواضيع الجنس والأحلام والخير والشر والكبت وغير ذلك، ولا أدري ما الذي استفادت البشرية من آرائه وأي تقدم حققت؟ وحاول فرويد من خلال دراسة سلوك الإنسان الوصول للحقائق الفكرية وهذا أسلوب ذو نجاح جزئي؛ لأن الإنسان ليس مادة يتم إجراء التجارب عليها كما يحدث في العلوم المادية؛ فالجوانب النفسية والفكرية ليست مادية أصلاً وكان فرويد يقتنع ببعض النظريات ثم يتراجع عنها ويعترف أنه كان مخطئاً ومن الطريف أنه اهتم بتحليل «الأحلام» ويعتبر كل الأحلام لها علاقة بالرغبة الجنسية واهتمام فرويد

بالجنس أعطاه شهرة إضافية، ومن أمراض العلمانية تعظيم آراء الفلاسفة وعلماء النفس والسياسيين وغيرهم؛ فتحول الهدف الرئيسي من الوصول للحقائق الفكرية إلى معرفة آراء هذا الفيلسوف أو ذاك السياسي وهذه مأساة فكرية. وباختصار العلمانيون يريدون عقائد ومبادئ يبنون عليها حياتهم وفشلوا في ذلك قال تعالى ﴿ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور﴾ آية (٤٠) سورة النور .

٢- كلمة طيبة:

ليس صحيح أن كلام العلماء والوعّاظ لا يؤثر في السلوك الإنساني والدليل أن الوعظ والتبليغ والدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أثر في سلوكيات كثير من البشر؛ فجعلهم يعملون كثيراً من الخير ويبتعدون عن كثير من الشر بل أدى إلى تغيير عقائد أفراد وشعوب، وتغيير العقائد أصعب أنواع التغيير فكم من خطيب دعى الناس للتبرع بالمال لمحتاجين ففعلوا، وكم من فتنة عجزت عنها جيوش وحكام فقال عالم واحد كلام فأطفأها بإذن الله تعالى. وطبعاً ليس كل الناس يستجيبون ولكن لو استجاب نصفهم أو ربعهم فهذا عمل طيب وأي دراسة علمية ميدانية ستثبت ما أقول. وجزء أساسي من تربية الأبناء أننا نعظهم وننصحهم؛ فمنهم من يستجيب كلياً أو جزئياً وهناك من يتمرد وكما قيل «عليك التربية وعلى الله الإصلاح» فالكلام الطيب إذا وصل لنفوس حية تستفيد منه أما الميتة والمريضة فلا تستجيب قال تعالى: ﴿مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا﴾ آية: ٥ سورة الجمعة، ونعلم جميعاً أن نوازع الخير والشر موجودة في نفوسنا. قال تعالى ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ آية: ٨ سورة الشمس قال رسول الله-ﷺ- «كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون» فإذا وجدت لنا ذنوب وانحرافات فهذا شيء طبيعي وعلى المسلم أن يتوب، وأن يحاول دائماً أن يزيد من حسناته، ويقلل من سيئاته أما أن نظن أننا سنكون أنقياء ومعصومين فهذه مثالية فلسفية غير موجودة عند المسلمين

ولا عند الفلاسفة والعلمانيين ولم يقل الوعّاظ أنهم سيصلحون بالأقوال والعظات ما يعيش فيه مجتمعهم من تناقضات وسيئات فهم يعلمون أنه لا رادع مثل الإيمان والضمير وأن الله سبحانه وتعالى أعطى الإنسان الحرية أن يؤمن ويكفر وأن يطيع ويعصي وأن هناك قوة للسلطان وللآباء وللمسئولين ولكبار القوم قال عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «إن الله ليزع بالسلطان مالا يزع بالقرآن» ويعلمون قول أبي تمام رحمه الله:

السيف أصدق أنباءً من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب

٣- الحق لا يصير باطلاً:

قال الشاب الفيلسوف: «وإذا كانت المبادئ صحيحة في زمن ما قد لا تكون كذلك في زمن تال» وأقول المبادئ الصحيحة هي صحيحة في كل زمن والمبادئ الباطلة هي باطلة في كل زمن، فالتوحيد مبدأ صحيح، والعفاف مبدأ صحيح، والصدق مبدأ صحيح، والزكاة مبدأ صحيح، والصلاة مبدأ صحيح، والجهاد مبدأ صحيح، والغيبة مبدأ خاطئ، والنفاق مبدأ خاطئ، والزنا مبدأ خاطئ، وما يختلف هو الظروف والإمكانيات، وتختلف كذلك الاجتهادات في التعامل مع الظروف والأحوال، فقد يقبل المسلم بوضع سيء لأن الوضع الآخر أكثر سوءاً منه، فالمسلمون عندهم مبادئ وعقل وواقع وهذه تعمل معاً أليس الغذاء المفيد مهم للجميع، ولكن في ظروف أمراض معينة يمنعك الطبيب من تناول الغذاء لساعات أو أيام؛ لأن هذا سيضرك وليس معنى هذا أن الغذاء المفيد أصبح مبدأ خاطئ وما أحوجنا لدراسات كثيرة قبل التكلم في المبادئ وقبل التكلم في الواقع خاصة وأن الكثيرين مغترون بشهاداتهم وعقولهم وثقافتهم فتواضع يا صديقي الشاب؛ فأنت مسلم مثقف وذكي ولكن معرفتك بالإسلام محدودة فاقترب من علماء مسلمين كبار وستتعلم الكثير، ومما ستتعلمه ألا تخلط المبادئ الصحيحة بالخاطئة وستدرك أهمية معرفة الواقع وإمكانياته ومثل هذا العلم لن تجده عند العلمانيين والفلاسفة حتى لو قرأت كل كتبهم .

٤- الرقي الفكري:

ما يجب أن يعرفه المسلمون ناهيك عن المثقفين منهم أن الفكر العلماني الحديث فكر متخلف، وأن الله سبحانه وتعالى أكمل لنا ديننا وعرفنا الصراط المستقيم وأن الرسول ﷺ قال: «تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك» فقد بلغنا قمة الفكر فعرفنا الحق من الباطل وعرفنا أين يكون الاجتهاد؟ وكيف نتعامل مع الحياة بشتى مجالاتها؟ وعرفنا كيفية الوصول للسعادة في الدنيا والآخرة كأفراد ودول؟ ونعلم أننا لسنا بحاجة إلى فلاسفة وعلمانيين ونعلم أين أصاب هؤلاء؟ وأين أخطأوا؟ بل نصحح لكل أمم الأرض عقائدهم ونزنها بميزان صحيح ونعلم أن أفضل البشر علماً في المجال الفكري هم الأنبياء قال رسول الله ﷺ «أنا أعلمكم بالله وأكثركم خشية له» ونعلم أن أقوال الفلاسفة ينطبق عليها قول باسكال «الفلسفة لا تستحق ساعة تعب» وقوله «التفلسف الحقيقي هو الهزء من الفلسفة» ونعلم أن أقوالهم متناقضة فماذا سنستفيد منها وعندنا العلم الصافي وقال الإمام الشافعي رضي الله عنه: «حكمي على أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال، وأن يطاف بهم في القبائل ويقال هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة»، فمعرفة القرآن والسنة هو قمة الرقي والعلم والحضارة والإنسانية والكمال ولو جمعنا بعضا من أقوال الفلاسفة الخاطئة لتعجب الكثيرون من جهلها فسيمون دي بفوار تقول « لنحطم الأسرة لأنها المكان الذي تضطهد فيها المرأة» وهذا كلام ينفيه العلم الشرعي والواقعي ومصلحة النساء وغير هذه السخافة سخافات كثيرة فلا تخدعنكم الفلسفة ومصطلحاتها وغموضها .

من المخطئ في فهم العلمانية ؟

عيد بطاح الدويهيس

علم لا ينفع

أهداني أحد الأصدقاء «الليبراليين» كتاب «أبي آدم قصة الخليقة بين الأسطورة والحقيقة» للدكتور عبدالصبور شاهين لأقرأه ومررت عليه بقراءة سريعة وكانت ملاحظاتي هي :

١- ليس من العلم:

ما يوجد عند علماء المادة والتاريخ والجيولوجيا والأحياء من معلومات عن الإنسان الأول عبارة عن معلومات قليلة متناثرة قال الدكتور عبدالصبور شاهين «وقد وجدت تلك البقايا بصورة ناقصة ونادرة مما يجعل معلوماتنا عن هذه المخلوقات الشبيهة بالإنسان بعيدة كل البعد عن الكمال» ص٣٠ وقال: «نحن إذن أمام جملة من النظريات المتشجرة والمتعارضة التي تركز كلها على تاريخ وجود الإنسان وأصل هذا المخلوق وهي كلها تؤكد نسبية المعلومات التي تضمنتها ولكل واحد منها أدلتها التي تستند إليها في تقرير جوانب التصور الزمنية والخلقية، ولا ريب أن في كل منها شيئاً من الحقيقة وأشياء من الخيال تصب في بحر الضلال» ص٣٦. فهناك معلومات عن مومياء وعظام بشرية، أو لحيوانات شبيهة بالإنسان، أو الحيوانات، وهناك اختلافات كبيرة جداً في متى وجد الإنسان الأول فبعضهم يقول مثلاً: عشرة آلاف سنة، وآخرون يقولون أكثر من ذلك حتى وصلوا إلى مليون سنة وهناك اختلافات في شكل وطريقة خلق الإنسان الأول واختلف علماء المادة حول أصل الإنسان هل خلق مستقلاً أو متطوراً من كائنات أخرى؟ واختلفوا حول متى وجد؟ واختلفوا هل كان يمشي على أربع أو على رجليه أو منحنياً أو منتصب القامة؟ فهناك كثير من الجهل والمجهول والغامض والنقص في الحقائق المادية المتعلقة بأصل الإنسان فما يوجد هو نظريات؛ أي آراء وليست حقائق تحاول أن «تؤلف» أو «تخترع» قصص منطقية لأصل

الإنسان أو أصل الكائنات والكون فدارون وغيره يحاولون بناء على معلومات علمية مثل وجود تشابه بين الكائنات أن يقنعوا الناس بنظريات أو اقتناعات ليس لها ما يكفي من الأدلة العلمية القطعية فالمتخصصون من أهل العلم المادي مختلفون وهذا يعني أنهم بحاجة إلى كثير جداً من البحث والدراسة، وقد يصلون إلى الحقيقة، أو يعلنوا عجزهم؛ وباختصار لا نريد أن نضيع وقتنا في مناقشة نظريات وآراء وليست حقائق علمية، وقال الدكتور عبدالصبور شاهين: «ولن يبلغ الإنسان مبلغ الحقيقة إلا إذا داوم البحث واستمر في السير تفتيشاً عن شواهدها وأدلتها» ص٣٥ .

٢- نعم للعلم المادي:

كل ما يثبته العلم المادي من حقائق سواءً تتعلق بأصل المخلوقات أو بحياتنا الجسدية، أو ببيئتنا، أو غير ذلك هي حقائق يجب أن نسلم بها ونقبلها؛ فإذا أثبت العلم المادي أن الإنسان تطور من قرد أو حصان أو غير ذلك فلا نستطيع أن نعترض أو نرفض، ولكن العلم لم يقول ذلك، ولكن المشكلة أن ما يسمى أصل الإنسان وأصل المخلوقات وما كتب عنها هي قضية تم المتاجرة بها من الزنادقة والملاحدة من فلاسفة ومفكرين وسياسيين بهدف الانتصار لمبادئهم كالشيوعية، أو العلمانية أو تشويه ورفض الدين، أو حتى لأهداف سياسية مع أن من بديهيات العقل والواقع أن الفلاسفة والمفكرين ليسوا من أهل العلم المادي، وليسوا متخصصين في مجال البحث العلمي في مجال أصل الإنسان وبالتالي فعليهم أن يصمتوا؛ لأنهم يجهلون حتى بديهيات علم الوراثة والطفرة والجيولوجيا والتاريخ البشري وبالتالي فعندما يستشهدون بنظرية دارون أو غيرها لا يستشهدون بحقائق علمية؛ بل بنظريات لم يثبت العلم المادي صوابها إن قضية أصل الخلق قضية يجب أن تبقى عند «علماء المادة» لا أن يتم اختطافها من أهل المبادئ الباطلة للمتاجرة بها .

٣- حقائق لا نظريات:

تم التطرق إلى أصل الإنسان في بعض الآيات القرآنية كقوله تعالى: ﴿إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون﴾ آية: (٥٩) سورة آل عمران وقال تعالى: ﴿إني خالق بشراً من طين﴾ آية: (٧١) سورة ص، وقال تعالى: ﴿منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى﴾ آية: (٥٥) سورة طه، وقال تعالى: ﴿ونفخت فيه من روحي﴾ آية: (٢٩) سورة الحجر، فهذه حقائق فكرية وليست آراء قال الدكتور عبدالصبور شاهين «ونحن- بادئ ذي بدء- نقرر أن التناقض بين القرآن، وما توصل إليه العلم من حقائق نهائية مستحيل، وإنما يأتي التناقض من جهة أن العلم لم يستقر بعد على بر الحقيقة الكاملة، بل مازال يدور في إطار النظريات ظنية الدلالة» ص٤٢ .

٤- علم لا ينفع:

لا أعتقد أن من الحكمة والصواب أن نشغل عقولنا وجهودنا في البحث في قضايا لن يكون لها تأثير على واقعنا، ولا تحقق مصلحة البشر، فما الفائدة التي تتحقق عندما نعلم أن أصل الإنسان كان كذا وكذا أو أنه عاش قبل عشرة آلاف سنة أو مليون أو غير ذلك وهل هذه المعلومات ستطور عقائدنا أو إيماننا أو حياتنا الاجتماعية أو السياسية أو التكنولوجية أو غير ذلك قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله «لا أحب الكلام فيما ليس تحته عمل» أي أن العلم الذي لا يفيد لا فائدة منه ولا ينبغي الاشتغال به. وواجب المسلم إذا كان يريد أن يزيد علمه وإيمانه أن يوجهه لما يفيد؛ فيتأمل في نفسه وما يجري في جسمه، ويتأمل في الكائنات والجبال والبحار واختلاف الليل والنهار، ويدرس الطب أو الفيزياء أو الكيمياء أو غير ذلك من علوم تبين عظمة الخالق، وتحقق المصالح والفوائد للناس وللفرد قال تعالى: ﴿إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر وما ينفع

الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون﴾ آية: (١٦٤) سورة البقرة .

٥- أي علم نحتاج؟:

من المزايا الهامة التي يتميز بها الإسلام عن العلمانية أن المسلم لا يشغل وقته في علوم لا تنفع وقد قيل عن بعض أنواع العلم «العلم بها لا ينفع والجهل بها لا يضر» فلن أخسر إذا لم أعرف المشاكل الاجتماعية في حياة ممثلة أو السيرة الذاتية لشاعر أو سياسي أو أبعاد فضيحة أخلاقية، أو لم أشاهد مسرحيات شكسبير، أو لم أقرأ روايات نجيب محفوظ، أو غير ذلك، فالمسلم لا يشغل وقته بقصص وأفلام وحكايات الناس، ولا يشغل نفسه بآثار قديمة أو في معرفة ما حدث أيام الفراعنة أو في حضارة الصين القديمة أو في الاستماع لأقوال الناس عن زيد وعبيد وماذا اشترت فلانة؟ وماذا باع علان؟ وماذا يملك هذا؟ وماذا خسر ذاك؟ ولا يشغل المسلم وقته في متابعة المباريات وأهدافها وحياة اللاعبين.. الخ بل يهتم بمعرفة آيات القرآن وأحاديث الرسول r وما يفيده في حياته الشخصية والوظيفية والعامة، فلا يهتم من الملابس إلا بما ينفعه ولا تهمه الموضة في الأحذية والعطور والأثاث والبناء، وما أكثر ما أشغل الناس أنفسهم بهذه الأمور بل لا يبالغ المسلم في الاهتمام بمأكله ومشربه مدحاً أو ذماً؛ فالمسلم يبحث عن ما ينفعه وينفع المجتمع، ويهتم بالجوهر لا المظاهر والمجاملات والاحتفالات. وفي الختام أقول لصديقي الليبرالي: «ليت المسلمين يبتعدون عن الاهتمام بعلوم لا تنفع وأقوال وآراء لا تستند إلى الحقائق الفكرية؛ فهذه بحور غرق فيها كثير من الناس والفلاسفة والمفكرين والمثقفين» .

الشك والعلمانيون والكفار

هناك تشابه كبير بين العلمانيين والكفار في عقائدهم ومبادئهم وأهدافهم وهناك من العلمانيين من هم زنادقة لا يؤمنون بالله سبحانه وتعالى، وهناك منهم من يؤمن بوجود الله ويصرحون بأنهم لا يؤمنون بالأديان السماوية أو بأجزاء منها، وهناك من يؤمن بالأديان السماوية وبالأنبياء ولكن يتشابهون في كثير من مبادئهم وأفعالهم مع الكفار وتعالوا لنسلط الأضواء على هذا الموضوع من عدة زوايا :

١- النور والظلمات:

يعتقد الكفار من زنادقة ومشركين بأن ما جاء به الأنبياء من الكتب السماوية أي ما أمرنا الله سبحانه وتعالى لن ينقل الناس من الظلمات إلى النور ويعتقد كل العلمانيين أن الدين السماوي حتى لو كان صحيحاً لا يصلح للحكم والسياسة ولا يحقق المساواة والعدل والحرية، فهم يشتركون في هذا مع الكفار قال تعالى: ﴿ الَر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (١) ﴾ سورة إبراهيم آية:١، ويعتقدون أن ما سيخرجهم هو ما ستقرره الشعوب أو ما يصل إليه الفرد بعقله حتى لو خالف ما أمر به الله سبحانه وتعالى .

٢- من خلق الطبيعة؟:

يقول بعض العلمانيين ممن يؤمنون بوجود الله أن الطبيعة هي التي خلقت الحياة، وأن الإنسان تطور من كائنات أخرى، وأن ما يحدث من زلازل وبراكين وعواصف ومشاكل بيئية وغير ذلك كلها ظواهر طبيعية، ولا يتدخل الله سبحانه وتعالى في هذه الحياة الدنيا بل لم يحدد لنا ماذا نعمل؟ وما الهدف من وجودنا؟ وهذا الكلام وغيره هو كلام الزنادقة والملاحدة على مر التاريخ لأنه يتعارض مع ما قاله لنا الأنبياء، والحقيقة أنه لم يقل علماء المادة أن الإنسان تطور من قرد ولم يقولوا الطبيعة

خلقت الكون، فما هي الطبيعة هل هي النجوم والكواكب أو الجبال ؟ وهل هذه لديها القدرة على خلق هذا الكون العظيم قال تعالى: ﴿لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ﴾ آية: (٥٤) سورة الأعراف، وقال ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لاَّ يَخْلُقُ﴾ آية: (١٧) سورة النحل، وقال تعالى ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ آية: (٦٢) سورة الزمر، نعم هناك نظريات لبعض علماء المادة لكن هذه نظريات وليست علم ولا توجد أدلة يقينية عندها وهنا يظهر قبح الباطل؛ فالزنادقة والملاحدة يقبلون أي أدلة خاطئة وأي أقوال ضعيفة بل يقبلون أي شيء بلا دليل ولا يشكون في صحته إذا كان يتصادم مع الإيمان بالله ورسله؛ فلا يوجد إثبات علمي يثبت أن الإنسان تطور من قرد أو أن الطبيعة خلقت الكون أو غير ذلك، ولا يوجد دليل أن الله سبحانه وتعالى خلق الكون بلا هدف .

٣- له الخلق والأمر:

ومما يثبت جهل الزنادقة أنهم مقتنعون بأن العالم تتحكم به قوانين مادية دقيقة، وأن هذه القوانين هي حقائق علمية مادية؛ فالشمس تتحرك من خلال نظام دقيق جدا لو أختل قليلا لمات من في الأرض ومقتنعين بأن كل الكائنات كائنات عظيمة في خلقها وحياتها، وأن التفاعلات الكيميائية تخضع لنظام دقيق لا تخرج عنه.... إلخ واقتناع الزنادقة بعظمة الخلق تتنافي كليا مع قولهم أنه خلق صدفة؛ فالصدف لا تخلق نظام ولا يخلق انفجار ضخم نظام، فالإنفجارات نراها تدمر ولا تبني أنظمة ولم نجد في حياتنا سيارة أو تلفاز أو حيوان خلق صدفة فلابد من خالق وصانع لأي شئ منظم والله سبحانه وتعالى هو الذي وضع نظاماً دقيقا للكون والكائنات لا يستطيعون كسره أو تغييره، ومثل هذا يقال عن نظرة الزنادقة للعقل، فهم يقولون أن العقل البشري عظيم، ولا يتعمقون في من جعله عظيما وهذه آيات مشاهدة بالعين وتثبت أن هناك قوة عظيمة جدا في علمها وقدرتها خلف كل ذلك ونجد الزنادقة يبالغون في حجم ما وصل إليه الإنسان من علم ولو تعمقوا لقالوا عجز هذا العلم

عن خلق ذبابة واحدة أو صرصور واحد وعجز عن أمور كثيرة منها وقف الحروب والكراهية بين بنى آدم، وعجز عن إحياء ميت واحد، وعجز عن أن يجعل إنسان يحترم إنسان آخر يحتقره وعجز وعجز... الخ وقال تعالى: ﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلا﴾ آية: (٨٥) سورة الإسراء، وما أوتينا من القدرات مهما كبرت هي قليلة فالفرد منا لا يستطيع أن يمنع نفسه من الحزن أو الغضب أو الألم أو القلق ولا يستطيع أن يستغني عن الطعام أو الهواء، ولو تأمل الإنسان في نفسه لاقتنع بضعفه وجهله قال تعالى ﴿وخلق الإنسان ضعيفا﴾ آية: ٢٨ سورة النساء .

٤- الشك الأسود:

الشك الطبيعي هو الذي لا يقبل تصديق شيء بدون أدلة علمية، وعند كثير من العلمانيين شك مرضي وهو عدم قبول أي أدلة على الإطلاق حتى لو كان كائنات ونجوم وكواكب وغير ذلك فعند الزنادقة من العلمانيين أن هذا لا يكفي أما من يؤمنون بوجود الله و بصدق الأنبياء من العلمانيين فتجدهم يشكون في صحة ما وصلنا من أحاديث، أو يشكون في التفسير الصحيح لآيات القرآن، ولم يسلم من الشك كل الأخبار الإيجابية التي نتداولها عن تاريخنا وانتصاراتنا وإيجابياتنا الحالية، والمضحك أن شكهم يتحول ليقين عندما يتكلمون عن السلبيات والعيوب في تاريخنا وواقعنا فهم يصدقون هذه الأخبار حتى لو جاءت بدون أدلة أو من فساق وأعداء أو جهلاء، ويشكك العلمانيون في كل المبادئ بما فيها مبادئهم؛ فهم يؤمنون بأنه لا توجد حقيقة مطلقة أي لا يوجد حق أبداً فالأمور نسبية والمسألة هي مقارنة شيء بآخر قال تعالى ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَى﴾ آية (٢٣) سورة النجم .

٥- من اخترع العلمانية؟

قال لي زميلي الليبرالي «إن عالم الرياضيات أعطى بسمارك القائد الألماني كتاب

كبير كله معادلات فسأله أين الله ؟ فقال: لم أجد له دور» وقال نيتشه: «إن الرب قد مات» وقال أحد الفلاسفة: «إن البشر هم الذين اخترعوا الإله» هذه الأقوال وغيرها هي كلام فارغ وقمة الجهل فأي فرد درس الرياضيات يعلم أنها أرقام ومعادلات وأشكال، وأنها جزء من العلوم المادية؛ فلا تستطيع أن تنكر وجود الله سبحانه وتعالى والمختبرات والمعادلات لا تتعامل مع هذه الأمور، وأقوال الفلاسفة التي ذكرت لا يوجد لها أي دليل فهي كلام بلا أدلة، ونعلم أن عالم الرياضيات لو تكلم في علم الطب لضحكوا عليه فما بالك عندما يتكلم عن علوم فكرية لا يفقه فيها شيئاً إن الزنادقة والملاحدة من العلمانيين يحاولون بشتى الوسائل إيهام الناس أن العلم المادي وعلماؤه يتصادمون مع الأديان السماوية في حين أنه لا توجد حقيقة مادية واحدة تعارض الدين، والغالبية الساحقة من علماء المادة هم من المؤمنين بوجود الله سبحانه وتعالى، وبالأديان السماوية، وفي المقابل لم تثبت حقائق العلم المادي ولا علماؤه صحة العلمانية، فلم تثبت التفاعلات الكيميائية صواب فصل الدين عن الدولة، ولم يثبت علم الفلك أن هذا المعنى أو ذاك للحرية الشخصية مما يقوله العلمانيون صحيح؛ فالعلم المادي يتبرأ من العلمانية، والعلم الفكري الذي جاء به الأنبياء يتبرأ من العلمانية، وهناك نكته لا أدري ما صحتها، وهي أن رجلاً روسياً مقتنع بفشل الشيوعية سأل لينين هل اخترع الشيوعية الشيوعيون أم العلماء ؟ فقال لينين «الشيوعيون هم الذين اخترعوا الشيوعية» فقال الرجل «كنت اعتقد ذلك لأنه لو اخترعها العلماء لطبقوها أولاً على الفئران» وسنعرف ضلال العلمانية عندما نسأل من اخترع العلمانية؟ وسيكون الجواب أن العلمانيين والفلاسفة هم الذين اخترعوها؛ أي أهل التناقض والاختلاف والجدل فهل هؤلاء قادرون على إنتاج منهج فكري شامل ومتكامل أم أن فاقد الشيء لا يعطيه؛ أي هم ضالون وضائعون فكيف يصنعون فكراً يهدي البشر ؟

٦- أين الحقيقة؟:

قال الدلاي لاما العالم البوذي في حوار مع عالم لاهوت برزايلي عندما سأله عن رأيه في أحسن ديانة في العالم؟ قال: إن أحسن دين هو الذي يجعلك أقرب إلى ربك ويجعل منك إنساناً أفضل وعندما سأله عن الشيء الذي يجعل الإنسان أفضل؟ قال: أن يكون أكثر رحمة ومحبة وإنسانية وإحساساً بالمسئولية وأن يكون ملتزماً أخلاقياً وبالتالي فإن الدين الذي يحقق كل هذه الأمور هو الأفضل» وقال: «أنا يا صديقي لا يهمني معرفة ديانتك أو ما إذا كنت ملتزماً دينياً أو غير ذلك فما يهمني هو تصرفك أمام أقرانك، ومن هم أكبر منك سناً، وموقفك من أهلك وعملك ومجتمعك والعالم أجمع» وقال: «ليس هناك أعظم وأسمى من الحقيقة» وأقول هذا الكلام استشهد به كاتب يدافع عن العلمانية وهو يبين مأساة فهم الدين عند العلمانيين؛ لأنه يخلط بين الدين وسلوك المنتسبين له ويجعل الدين كأنه أخلاق فقط، وليس فيه عقائد و شريعة ولا يحكمون على صواب أو خطأ الأديان بناءً على أدلة علمية تثبت صوابها وانتسابها الصحيح لله ورسله؛ بل بناءً على سلوكيات المنتسبين لها؛ وبالتأكيد في كل دين من هم على أخلاق عالية، وكذلك أخلاق سيئة، وكذلك الأمر بالنسبة للعلمانيين وكيف تكون الأديان متساوية وهي مختلفة في عقائدها وشرائعها وعباداتها؟! كما أن القول بأنه ليس هناك أعظم وأسمى من الحقيقة أمر غامض، وإذا فهمنا الحقيقة على أنها الحقائق الفكرية، أي العقائد والشرائع والأخلاق الصحيحة؛ فإن العلمانية لا تؤمن بوجود حقيقة وحقائق في مجال الفكر ولا حتى تسعى للوصول لها بل تقول كل العقائد والشرائع والأخلاق التي تقولها الأديان السماوية والعلمانيين وغيرهم هي آراء وليست حقائق فهي تكفر بوجود الحقيقة .

من المخطئ في فهم العلمانية ؟

عيد بطاح الدويهيس

من يمتلك الحقيقة الفكرية ؟

يعتقد العلمانيون أنه لا أحد يمتلك الحقيقة الفكرية ويقولون أحياناً لا توجد حقائق فكرية كل ما يوجد آراء؛ لأنه لا توجد أدلة علمية تثبت ما يعتقد هؤلاء أو أولئك أنه حقائق فكرية، ويتساءلون عن أي حقائق فكرية تتكلم، فكثيرون يعتقدون أن مبادئهم هي حقائق فكرية؟ وأقول إذا كان لا أحد يمتلك الحقائق الفكرية فهذا يعني أننا لا نستطيع إثبات أو نفي وجود الله سبحانه وتعالى أو وجود الأنبياء أو تحديد المعاني الصحيحة للعدل والحرية والمساواة والإرهاب والجهاد وهل الزنا أو الربا خير أم شر؟ أو ما هي الحقوق الزوجية؟ ولن نعرف القانون الصحيح من الخاطئ؟ ولن نهتدي للدساتير الصحيحة، فما الفائدة إذن من العقول البشرية؟! وهذا معناه لو تعمقنا فيه أن العلمانية عدوة للعلم الفكري (الحقائق الفكرية) لأنها تنفي وجودها وأيضاً عدوة للعقول البشرية؛ لأنها تقول أنها عاجزة عن الوصول للحقائق الفكرية والمضحك هو أن كثيراً من بني آدم يظنون أن العلمانية ومبادئها هي الحقائق الفكرية، وأنها قائمة على العقل ومعنى لا أحد يمتلك الحقيقة الفكرية أن المؤمنون على الباطل، وكذلك العلمانيون والزنادقة على باطل أيضاً، وأن الإنسان الواعي هو الذي بلا مبادئ؛ لأنه لا توجد مبادئ صحيحة أي هو الإنسان الذي ليس مقتنع بشيء فكل المبادئ أوهام وظنون وتحتمل الصواب والخطأ، ولا توجد حقيقة مطلقة وهذا ينطبق على المبادئ الدينية، والمبادئ العلمانية القديمة والحديثة، والتي ستأتي في المستقبل بل إن العدل الواضح ليس مبدأ صحيح وكذلك الأمانة أو العفاف أو الصدق أو بر الوالدين ومعناه أيضاً أن الرشوة والنفاق والسرقة والكذب والخيانة الزوجية.... الخ. ليست باطلاً؛ فهي تحتمل الصواب والخطأ؛ لأنها في اعتقاد العلمانية لا توجد أدلة علمية تثبت أنها شر وفساد ومن يعتقد ذلك لا يحق له أن يقول أشرقت شمس العلمانية في العصور الوسطى فلا توجد شمس أصلاً ولا فكر صحيح فكل الصراع الفكري

العالمي هو بين أفراد ضائعين يتوهمون أنهم على حق وعدم الاقتناع اليقيني هو فكر الزنادقة والملاحدة؛ فالزنادقة لا يؤمنون حتى بوجود الله تعالى في حين أن الملاحدة والمشركين يؤمنون بوجود الله ولكن لا يؤمنون بالرسل أو بجزء من رسالاتهم؛ إذن التشابه كبير جداً بين العلمانيين وبين الزنادقة والملاحدة في حين أننا نجد أغلبية الفلاسفة يؤمنون بوجود الله سبحانه وتعالى، ويؤمنون بصدق الرسل. ولنعلم أن الزنادقة والعلمانيين ليس عندهم نور أو علم فكري محدد ينقذونا به من الضلال الذي يظنون، فهم يقولون لا نعلم ولا ندري أين الحق؟ بل ننكر وجود حق؛ أي هم لا ينقلون الناس من الضلال إلى النور بل إذا آمنت بمبادئهم فأنت انتقلت في رأيهم من ضلال إلى ضلال، وبالتأكيد إذا كان العقل البشري عجز عن معرفة الحقائق في القضايا الكبرى: كوجود الله سبحانه وتعالى، وصدق الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم سيعجز عن معرفة الحق والصواب في القضايا السياسية والاجتماعية والاقتصادية. فوضع العلمانيون يشابه من يقول في العلوم المادية لا توجد حقائق علمية مادية. فعلم الكيمياء آراء، وعلم الطب آراء، وعلم الفيزياء آراء، ومن حق كل فرد أن يقتنع بما شاء فكلها آراء تحتمل الصواب والخطأ إن معنى هذا أننا لن نكون قادرين على بناء المصانع، وزراعة الحبوب ومعالجة الناس فلا يوجد فساد أكثر من ذلك؛ لأن ذلك تدمير للحقائق المادية وهذا ما فعله العلمانيون مع الحقائق الفكرية؛ فكيف سيدافع فرد أو شعب عن المبادئ الصحيحة أو يلتزم بها إذا لم توجد مبادئ صحيحة؟! فمساعدة الفقراء ليست مبدأ صحيح، والامتناع عن ظلم الناس ليس مبدأ صحيح، والدفاع عن المظلومين ليس مبدأ صحيح، والخوف من عذاب الله ليس مبدأ صحيح، والطمع في جنته ليس مبدأ صحيح... الخ. وعندما يقول العلمانيون والزنادقة: أن الأديان السماوية خرافات أو أساطير أو قضايا هامشية أو ثانوية أو غيبية؛ فقد أفسدوا دنياهم وآخرتهم لأنهم قطعوا علاقتهم مع الله سبحانه وتعالى الذي خلق هذا الكون العظيم والذي بيده الخلق والأمر والحكم والاقتصاد والحياة

الشخصية والأرزاق والصحة.... الخ. فالخير والفضل والنعم منه وحده وعذابه هو العذاب الشديد وهو الوحيد القادر على أن يحميك من الشر حتى لو أراد كل الإنس والجن بك شراً وهو أقرب إلينا من حبل الوريد؛ فالقرب من الله وطاعته وعبادته بصورة صحيحة هي أساس كل خير والبعد عنه هو أساس كل شر قال تعالى: ﴿ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون﴾ آية: (١٩) سورة الحشر، وهذه الآية وغيرها مبادئ صحيحة وحقائق نتعلم منها ما يفيد أنفسنا وأسرنا وشعوبنا والإنسانية. والقول بأن لا أحد يمتلك الحقيقة الفكرية هو شك مرضي؛ لأن من لا يؤمن بوجود الله سبحانه وتعالى ويعتبره حقيقة مع وجود كل الأدلة من كون عظيم وغيره هو إنسان شديد الجهل حتى لو كانت لديه أعلى الشهادات الجامعية، وقرأ الكثير من الكتب، ومن لا يؤمن بالرسل مع المعجزات والآيات هو إنسان أعمى العقل قال تعالى: ﴿أفمن يعلم إنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى إنما يتذكر أولو الألباب﴾ سورة الرعد آية (١٩)، وهناك شبهة يثيرها بعض العلمانيين وهي أن اعتقاد المسلم أنه يمتلك الحقائق الفكرية تجعله يغلق باب الحوار، ويقصي الآخرين ويؤثر هذا في علاقاته الاجتماعية مع غيره؛ وأقول الاعتقاد بأن الإسلام حقائق فكرية ليس فيه أبداً دعوة للإقصاء والعداوة والحرب والاضطهاد والكراهية لمن ليس مقتنع بذلك من بني آدم أما من يحارب ويعادي الإسلام وأهله فالأمر معه يختلف. ولا ينكر الإسلام وجود الاختلاف العقائدي البشري ويتعامل معه بالعدل والإحسان والرحمة وهذا ما فعله الرسول ﷺ مع الكفار وأهل الكتاب، وهذا لا يتعارض مع إبلاغهم الحق ودعوتهم للإسلام فما أشبه المسلم بالطبيب الذي يحب المريض ولكنه يكره مرضه والدعوة إلى الله ترجمة واضحة لحب الخير للناس وهذا ما فعله الأنبياء كلهم فلم يكونوا يبحثون عن مناصب أو أموال من خلال الدعوة؛ بل كانوا يتحملون الأذى وكان بعضهم يقتل في سبيل دعوة الناس للإيمان، فهل كان الأنبياء وهم قدوتنا يحملون الكراهية لمن يختلفون معهم عقائدياً؟ وتعالوا نتعمق في موضوع هل هناك

من يمتلك الحقيقة؟ من خلال النقاط التالية :

١- العلم نوعان أساسيان:

هناك نوعان من الحقائق: حقائق مادية؛ أي التي في العلوم المادية كالفيزياء والكيمياء والأحياء والفلك وغير ذلك والطريق للوصول إليها هو طريق التجربة والمشاهدة والاستنتاج ومن يصل إلى هذه الحقائق يبني التقدم المادي، ويحصل على خير كثير في الزراعة والصناعة والمواصلات والاتصالات والطب وغير ذلك، ومن يعتقد أن العلم هو العلم المادي فقط فسيعتقد أن كل ما يقوله أهل الأديان السماوية والفلاسفة والعلمانيين وغيرهم مما يقع في مجال العقائد والمبادئ ليس علماً؛ لأنه لم يثبت صوابه في مختبرات الكيمياء أو الفيزياء. والصحيح أن الوصول للحقائق الفكرية لا يتم بنفس أسلوب الوصول للحقائق المادية، والمختبرات وعلماء المادة لا يتعاملون مع العدل والظلم، ولا مع الشر والخير، ولا السعادة والشقاء، ولا مع الأخلاق الحسنة والسيئة، ولا مع الجوانب المعنوية والفكرية للإنسان، ولا مع أسئلة مثل من خلق الكون؟ ولماذا هناك كون منظم وكائنات؟ وليس لهم علاقة بالزواج والطلاق والحزن والفرح وبر الوالدين أو عقوقهما أو الصدق والكفر أو الإخلاص والنفاق وهل هناك حياة بعد الموت أم لا؟ إذن هناك قضايا أهم بكثير من الحقائق المادية ومنذ وجد الإنسان على الأرض وهو يبحث عن الحقائق الفكرية؛ أي الحق فتساءل هل يوجد خالق أم لا؟ ولماذا خلقنا؟ وكيف نحقق السعادة والعدل في الدنيا؟ وما هي الحرية الصحيحة؟ وما هي العقوبات العادلة؟.. الخ .

٢- آراء علمانية:

هل هناك طريق يوصل للحقائق الفكرية؟ والجواب نعم إذا أرجعنا العقائد والمبادئ الدينية والعلمانية إلى أصولها وليس للفروع والجزئيات سنجد أنها الإيمان بوجود الله سبحانه وتعالى، أو نفي وجوده والإيمان بوجود الأنبياء، أو بعضهم أو نفي

وجودهم أو أنها مبادئ متوارثة من الآباء والأجداد، أو أنها صناعة بشرية كالمدرسة العلمانية بفروعها المتناقضة. وكل المبادئ التي صنعتها العقول العلمانية لتعريف الخير أو الشر أو الحرية أو الاستبداد أو العدل والظلم هي مبادئ يقول أصحابها أنها آراء تحتمل الصواب والخطأ، أي ليس عندهم يقين أنها حق وهذا شيء بديهي لأنه لا توجد مبادئ موحدة لهذه المدرسة فهي متناقضة في كل شيء حتى وجود الله سبحانه وتعالى بعضهم يعتبره حقيقة وبعضهم يرفض ذلك وتكتفي بالحوار الفلسفي أو العلماني مع اقتناعها أنها لن تصل إلى الحق ولا أدري لماذا يتناقشون؟ وهذه المدرسة تنتسب زوراً للعقل أو العلوم المادية فكلاهما بريئان منها، فالعلوم المادية لم تقل أن هذا هو أسلوب الوصول للحقائق الفكرية، ولم تشهد أن «فصل الدين عن الدولة «حق»، أو أن «العلمانية نور» أما العقل فلا يحق لأحد احتكاره إلا إذا كان كل من يخالف العلمانيين مجانين أو كانت العقول البشرية كلها أو حتى أغلبها تشهد أن معنى الحرية هو كذا أو معنى العدل هو كذا أو هذا الدستور حق أو باطل وإذا كان ما يقولونه ينسبونه للعقل فهم إذن ينسبون للعقل التناقض، والصحيح أن كل فرد منهم يحق أن ينسب ما يقول لعقله هو «لا للعقل البشري» لأنه لا يوجد جهاز يعطينا إجابة العقل البشري .

٣- الطريق إلى الحقائق الفكرية:

إذن عندما نُرجع العقائد والمبادئ إلى أصولها سنجد أن الانتماء للعقل هو عملية تزوير، وإن الانتماء للآباء والأجداد لا يستند إلى علم وحكمة؛ فالآباء والأجداد يختلفون في عقائدهم ومبادئهم من شعب إلى آخر إذن الأصول الفكرية منبعها هو النقاش حول الاقتناعات الأساسية، هل الله موجود أو لا؟ وما هي الأدلة على ذلك؟ ثم هل هناك أنبياء أم لا؟ وباختصار الأدلة التي تثبت وجود الله هي وجود هذا الكون العظيم، والأدلة التي تثبت صدق الأنبياء رآها كثير من البشر كمعجزات بأعينهم

وعقولهم على مدى التاريخ، ورأوها في مبادئ متكاملة واضحة، ورأوها في أن أفضل وأرقى البشر هم الأنبياء والصالحين فكل من اتبع الرسل ولم يحدث تحريف لما قاله الرسل فقد عرف الحقائق الفكرية والتزم بها وفي المقابل لا توجد أدلة صحيحة عند من ينفون وجود الله سبحانه وتعالى أو ينفون صدق الرسل .

٤- حقائق لا أساطير:

وجود الله سبحانه وتعالى أمر واضح جداً بدليل أن أغلبية البشر وعلى مدى التاريخ وإلى يومنا هذا يؤمنون بوجود الله لأن هذا المبدأ يثبته كل ما نراه ونحس به ونلمسه من ماء وهواء وبشر ونجوم وإبداع وكائنات وتكامل ونعم قال تعالى ﴿ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون...﴾ آية: (٦١) سورة العنكبوت. وأرسل الله سبحانه وتعالى الأنبياء ليبلغونا الحقائق الفكرية التي على أساسها سننجح في الدنيا والآخرة، وأسماء الله وصفاته هي من الحقائق الفكرية الكبرى، كما أن المبادئ الأساسية السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي جاءت في الكتب السماوية هي حقائق سواء كانت عقائد أو أحكام أو أخبار .

٥- الحق والضلال:

منذ خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان بين له طريق الحقائق الفكرية وطريق الضلال قال تعالى ﴿فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى (١٢٣) ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشةً ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى﴾ آية: (١٢٤) سورة طه، إذن الحقائق الفكرية وصلها لنا الله سبحانه وتعالى عن طريق الأنبياء ومهما فكرنا بعقولنا المجردة لن نصل إليها وهذا ما وصل إليه العلمانيون وذلك لأنهم سلكوا طرقاً لا توصل إليها وليس لأنه لا توجد حقائق فكرية؛ أي هم أعلنوا عجز عقولهم عن الوصول للحقائق الفكرية، والغريب أنهم يقولون نحن الأوعى والأذكى مع أنهم لم يصلوا إلى شيء أصلاً أي ليس عندهم إطلاقاً رصيد من العلم

الفكري. ولا شك أن عالم بلا علم فكري أي بلا مبادئ صحيحة سيفتح الأبواب لانتماءات فكرية متناقضة كالرأسمالية والاشتراكية والشيوعية وغيرها كثير، ويؤدي إلى التصارع بين هؤلاء، ويؤدي إلى طغيان العصبيات العرقية وحب المناصب والأموال وإلى الانغماس في الشهوات والتبذير والكراهية والانتقام وغير ذلك .

٦- الجهل بالحقائق الكبرى:

رصيد البشر من الحقائق الفكرية يختلف من فئة إلى أخرى؛ فالمبدأ الوحيد الذي يتفق عليه العلمانيون هو «فصل الدين عن الدولة» وهذا ليس حقيقة فكرية وأهل الكتاب عندهم رصيد أفضل بكثير من غيرهم ونعتقد أن في الإسلام الرصيد الأكثر والأوضح والذي لم يحصل له تحريف ونعتقد أيضاً أن الإسلام هو النور قال تعالى ﴿ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور﴾ آية: (٤٠) سورة النور، وبالنسبة للمدارس العلمانية ففيها حق وباطل فنصيب العلمانية الرأسمالية من الحقائق الفكرية أفضل من نصيب العلمانية الشيوعية ونصيب هؤلاء أو هؤلاء من الحق حدث؛ لأنهم قالوا آراء كثيرة ومتناقضة في الحرية والعدل والمساواة والانتماء العرقي والاقتصاد والعقوبات... الخ فالشيوعية مثلاً تحارب المجلات الجنسية؛ لأنها فساد أو إهانة للإنسان وهذا حق أي مبدأ صحيح، ولكن رصيد العلمانيين من الحقائق الفكرية محدود فهم أجهل البشر بالله سبحانه وتعالى وبأسمائه وصفاته ولماذا خلقنا؟ وبماذا أمرنا؟ فهذه هي الحقائق الكبرى فكل الحقائق الأخرى مقارنة بهذه الحقائق صغيرة.

٧- الاجتهاد الإسلامي:

ما تكلمت عنه سابقاً هو حقائق فكرية أي العلم الفكري فهل يكفي وحده أو هل يعمل لوحده؟ أقول لا فعلم الفيزياء مثلاً: حقائق مادية لن تعمل إن لم يتدخل الإنسان للاستفادة منها لحياته إذن على الإنسان أولاً معرفة الحقائق المادية، وثانياً استخدام

عقله لفهمها واختيار ما يحتاجه منها لعمل منتج يفيده وثالثاً عليه معرفة الواقع الذي سيتعامل معه هذا المنتج أي هناك ثلاث أعمدة ليبني الإنسان حياته عليها في الجانب المادي الحقائق المادية والعقل ومعرفة الواقع. وهذا ما علينا تطبيقه في الجانب الفكري؛ فالحقائق الفكرية (الإسلام) أي النور والعقل أي العين والواقع فبلا نور سيسيطر الظلام على الغابة ولن تنفعنا عيوننا (عقلنا) وإذا كان هناك نور وعين ولكن تنقصنا المعلومات عن الواقع (الغابة)؛ فقد نمسك بأيدينا حية سامة لا نعلم أنها سامة فتقتلنا والاجتهاد الإسلامي يقوم على ثلاثة أعمدة الأول: (القرآن والسنة) والثاني: العقل، والثالث: معرفة الواقع، وهذا الاجتهاد ليس حقيقة بل آراء تصيب وتخطئ وليس مسموح أن يجتهد أي إنسان بل المتخصصين في الإسلام والذين لديهم معرفة بالواقع السياسي أو الاجتماعي أو الاقتصادي من المتخصصين وتذكروا أن الإسلام حقائق فكرية؛ فاكتمل النور من عهد الرسول ﷺ قال تعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا﴾ آية: (٣) سورة المائدة، أما الاجتهادات الإسلامية فهي تحتمل الصواب والخطأ .

٨- إضافات بشرية:

إذا كان القرآن والسنة هما العلم الفكري؛ فكل إضافات فكرية حدثت من فرق أو علماء وظنها البعض من العلم الفكري هي إضافات خاطئة ويدخل ضمن ذلك تفسيرات خاطئة لآيات قرآنية أو أحاديث ولم يكن في عهد الرسول ﷺ وأغلبية عهد الخلافة الراشدة أي فرق ولا يوجد في الإسلام مذاهب لا أربعة ولا أكثر ولا أقل فكلما اقترب المسلمون من القرآن والسنة كلما اقتربوا من النور واتفقوا وكل تطبيقات بشرية بعد عهد الرسول ﷺ تحتمل الصواب والخطأ، بل الرسول ﷺ اجتهد في أمورنا وأخطأ ونبه الله سبحانه وتعالى لذلك وما دمنا نتكلم عن الواقع فهناك إسلام وهناك عقول تتفاوت في علمها بالإسلام وفي ذكائها وفي إخلاصها أو نفاقها وفي

معرفتها بما في الواقع من حقائق واقعية ولهذا تصيب وتخطئ ولم يهتم المسلمون بالتطبيقات البشرية بعد عهد الرسول ﷺ، ولم يهتموا بالأحداث السياسية على مدى تاريخهم؛ وأقصد بذلك تحديد صوابها من خطئها فلم يأمرهم الله سبحانه وتعالى بذلك ولن يضيع الله تعالى أجر أحد ولن تضيع حسنات ولا سيئات والحكم لله تعالى، قال تعالى: ﴿تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تُسئلون عما كانوا يعملون﴾ آية: (١٣٤) سورة البقرة، وما يقال عن التاريخ والدول والأفراد قديماً يقال عن ما قاله علماء المسلمين من اجتهادات (التراث الفكري)؛ لأنها اجتهادات تصيب وتخطئ سواء كانت فكرية (فيما لا نص فيه) أو كانت مواقف من أحداث سياسية؛ فوجود أخطاء من حكام مسلمين أو علماء مسلمين أو دول أو أحزاب أو أفراد هم يتحملون مسئوليتها ولا يصلح كوسيلة «لتشويه» الإسلام وهذا ليس في الإسلام وحده بل في كل المبادئ الدينية والعلمانية؛ فالتطبيقات البشرية قد تكون تمثل المبادئ وقد لا تمثلها والمهم هو المبادئ نفسها وما هو نصيبها من الحق أو الباطل ؟

٩- أمانة العلم:

قيل «الأصل في كل فن قول أهله» فمن البديهيات العلمية أن هناك تخصصات فكرية ومادية في الإسلام والمسيحية واليهودية والرأسمالية والشيوعية والتاريخ واللغات والاقتصاد والسياسة والكيمياء.. الخ وكم من حقائق فكرية ومعلومات واقعية تضيع؛ لأن المتحدثين ليسوا متخصصين فيما يتحدثون عنه وهذا أحد أهم الكوارث التي أنتجتها العلمانية؛ فكثير من العلمانيين يتكلموا في الإسلام وهم لا يفقهون حتى أساسياته، ويقول بعضهم: القرآن ليس كتاب معجز لغوياً وهو ليس متخصصاً باللغة العربية، أو بالفكر وتجدهم يحاكمون التاريخ الإسلامي وكل رصيدهم: كم كتاب مشوه قرأوه؟! بل إن معرفتهم بالواقع السياسي في هذه الدولة العربية أو تلك أمر ليس لديهم فيه حتى القليل من العلم ومع هذا يتكلمون بجرأة، ويكتبون مقالات تذم

وتمدح قال رسول الله ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت» إذن الكلام والكتابة أمانة عظيمة سواءً تتعلق بالمبادئ أو الواقع، وقال أحد المسلمين: «إن هؤلاء يفتون في مواضيع لو حدثت في عهد عمر لجمع لها أهل بدر» وقيل «لو سكت من لا يدري لاستراح الناس» وكان علماؤنا يقولون في كثير من القضايا لا نعلم فالعلم أمانة عظيمة .

من المخطئ في فهم العلمانية ؟

عيد بطاح الدويهيس

كتب للمؤلف

- الطريق إلى الوحدة الشعبية « دعوة لبناء الجسور بين الإتجاهين القومي والإسلامي».
- الطريق إلى السعادة.
- إصلاح الشعوب أولاً.
- لا للتعصب العرقي .
- عجز العقل العلماني .
- الكويت الجديدة.
- العلمانية في ميزان العقل.
- العلمانية تحارب الإسلام.
- تطوير البحث العلمي الخليجي.
- الليبرالية الضائعة.
- العلم يرفض الليبرالية.
- العلمانية منبع الضياع.
- لا للأبحاث التطويرية بالاشتراك مع الأستاذ عبد الله عوده.
- لا لأبحاث الجامعات.
- المشاريع البحثية .. مشاكل وحلول.
- كيف تخطط لحياتك الوظيفية؟
- التخطيط الوهمي.
- إصلاحات شعبية.
- من المخطئ في فهم العلمانية ؟